حياة القلوب

تفسير كلام علام الغيوب

الجزء الحادي عشر

تأليف

أبي عمرو سعيد بن مصطفى دياب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المقدمة

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُه، ونستعينُه، ونستغفرُهُ، ونعوذُ به مِن شُرُورِ أنفُسِنَا، وَمِنْ سيئاتِ أعْمَالِنا، مَنْ يَهْدِه الله فَلا مُضِلَّ لَهُ، ومن يُضْلِلْ، فَلا هَادِي لَهُ.

وأَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عبْدُه ورَسُولُه.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.[1]

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.[2]

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.[3]

وبعد فهذا هو الجزء الحادي عشر من تَفْسِيرِ: (حَيَاةُ الْقُلُوبِ)، أسأل الله أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن يتقبله بفضلِهِ ومَنِّهِ وكرمِهِ، وأن ينفع به إنَّه خيرُ مسئُولٍ وأكرمُ مأمولٍ.

---

١ - سورة آل عمران: الآية/ ١٠٢

٢ - سورة النساء: الآية/ ١

٣ - سورة الأحزاب: الآية/ ٧٠، ٧١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٩٣

لما قال الله تعالى: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [التوبة: ٩١]، وقلنا المراد بالسبيل الإثم والعقاب، بين الله تعالى هنا على من يكون الإثم والعقاب فقال: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ﴾.

و ﴿إِنَّمَا﴾، للمبالغة وليست للحصر، فكل من عصى الله أمرًا فقد جعل لله عليه سبيل إلى العقاب.

والألف واللام في: (السبيل) للعهد والمراد به السبيل المنفي في قوله: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾.[1]

وعدي السبيل بـ (على) ليدل على الاستعلاء، وقلة منعة من دخلت عليه، بخلاف (إلى) التي تدل على مجرد الوصول إلى الشيء؛ فقولك: لا سبيل لي على زيد؛ أي: لا قدرة لي عليه، بخلاف قولك: لا سبيل لي إلى زيد.

والمعنى: إنما الإثم والعقاب على الذين يستأذنونك في التخلف عن الجهاد ولا عذر لهم يمنعهم بل هم أغنياء لا تعوزهم النفقة، وكرر الله تعالى ذكرهم بعد قوله: ﴿اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾. [التوبة: ٨٦]؛ للتشنيع عليهم والتحذير من حالهم.

﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

أي: استأذنوا وهم أغنياء لأنهم رضوا بالدناءة والضعة والقعود مع الضعفة والنساء عن نصرة دين الله تعالى.

﴿وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

أي: ولأن الله تعالى طبع على قلوبهم فلا يدخلها إيمان ولا يخرج منها كفرٌ، وإذا كان شأنهم كذلك فهم لا يعلمون ما فيه نجاتهم، وما فيه هلاكهم؛ لانطماس بصائرهم.

---

١ - سورة التوبة: الآية/ ٩١

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٤) سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٥) يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٩٤- ٩٦

يقول الله تعالى مخاطبًا الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يعتذر إليكم هؤلاء المنافقون عن تخلفهم عن الخروج للجهاد إذا رجعتُم إلى المدينة، فقل لهم يا محمد: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ﴾؛ أي: لا تسألوا عذرًا فلَن نُصدِّقكُم، وكانوا بضعة وثمانين رجلًا، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم جاؤوا يعتذرون إليهم بالباطل والكذب.

﴿قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾.

قد أخبرنا الله تعالى بما تضمرون في أنفسكم من كراهية الجهاد، والعداء للدين وبغض المؤمنين.

﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾.

وسيظهر الله عملكم لرسوله والمؤمنين، وفتح لهم باب التوبة، أترجعون عن الكفر أم تقيمون عليه.

﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

تهديد ووعيد لمن ظل سادرًا في غيه مقيمًا على الكفر، وبشارة لمن تاب منهم واستقام على أمر الله.

﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾.

أي: سيحلفون بالله لكم إذا رجعتم إليهم إمعانًا في خداعكم لتتركوهم بلا عتاب، فاتركوهم ولا تعاتبوهم فإنهم أنجاس لا يجدي معهم العتاب، ولا يفيدهم التوبيخ.

﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

ومآلهم إلى النار جزاءً بما كانوا يضمرونه من الكفر وما يقترفونه من الآثام.

﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾.

يحلف لكم هؤلاء المنافقون لسفاهة عقولهم وسوء تدبيرهم لترضوا عنهم، وكان الواجب عليهم أن يرضوا الله تبارك وتعالى، فإنكم إن ترضوا عنهم، فإن الله تعالى الذي لا يخفى عليه شيء لا يرضى عمن خرج عن طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وبارزه بالكفر.

ووضع الظاهر موضع المضمر في قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾، ولم يقل: (فإن الله لا يرضى عنهم)، لبيان علة عدم رضى الله تعالى عنهم وهي الفسق، وإثبات وصف الفسق عليهم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٩٧) وَمِنَ الأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٩٧، ٩٨

مناسبة الآية لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى أحوال المنافقين بالمدينة ذكر حال المنافقين من الأعراب خارجَ المدينة فأخبر أنهم أشد كفرًا ونفاقًا من المنافقين الذين بالمدينة.

﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾.

أي: الأعراب أشد جحودًا، ونفاقًا من أهل الحضر، وإنما وصفهم جل ثناؤه بذلك لجفائهم وقسوة قلوبهم، وغلظة طباعهم؛ فإن منافقي المدينة كانوا يسرون الكفر خوفًا من المؤمنين، وهؤلاء يعلنون به.

وهم أخلق وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم، يعني: الحلال والحرام والفرائض، لبعدهم من سماع القرآن ومعرفة هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال إبراهيم النخعي: جلس أعرابي عند زيد بن صوحان وهو يحدث أصحابه، وكان زيد من العلماء من كبار التابعين، وكانت شماله أصيبت يوم جلولاء في حرب العجم، فقال له الأعرابي: والله إن حديثك ليعجبني، وإن يدك لتريبني فقال زيد: ما يريبك من يدي؟ إنها الشمال. فقال الأعرابي: والله ما أدري، اليمين يقطعون أو الشمال؟ فقال زيد بن صوحان: صدق الله تعالى: ﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

والله عليم بما في قلوب خلقه، ومن يستحق أن يعلمه الإيمان والعلم، ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما قسم بين عباده من العلم والجهل والإيمان والكفر والنفاق.

﴿وَمِنَ الأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا﴾.

المغرم التزام ما لا يلزم، أي: ومن الأعراب من يرى الإنفاق في سبيل الله خسارة وغرامة؛ قال عطاء: لا يرجو على إعطائه ثوابًا، ولا يخاف على إمساكه عقابًا، إنما ينفق خوفا أو رياء.

﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾.

أي: ينتظرون المصائب التي تحل بكم؛ كموت الرسول صلى الله عليه وسلم، وظهور المشركين عليكم، والدَّوائِرَ المصائب التي تحيط بالإنسان كما تحيط به الدائرة، وقيل: ومنهم من ينتظر بكم ما تدور به الأيام من المصائب والمحن.

﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾.

دعاء من الله تعالى عليهم معناه الإيجاب، أي: سيعود عليهم ما ينتظرونه بكم من البلاء والمصائب.

﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

تذييلٌ الغرض منه الوعيد لهم ومعناه: والله سميع لكلامهم، عليم بنياتهم لا يخفى عليه منهم شيء.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ الأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٩٩

يخبر الله تعالى أنَّ من الأعراب من يؤمن بالله تعالى ويؤمن باليوم الآخر، كما أن منهم كفارًا ومنافقين، وإن كان يغلب عليهم الكفر والنفاق لبعدهم عن أهل الإيمان، وعدم سماعهم للوحي المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا من إنصاف القرآن فلم يشملهم جميعًا بحكم عام بالكفر والنفاق.

﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾.

أي: ومنهم من يتخذ ما ينفق في سبيل الله تعالى وسيلة يتقرب بها إلى الله تعالى ويرجو بها مرضاته تعالى، والقربات جمع القربة، والصلوات جمع الصلاة؛ أي: يعدُّ الإنفاق في سبيل الله قربةَ يتقرب بها إلى الله يرجو بها وينال بها دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتاه أحد بصدقته دعا الله تعالى له امتثالا لقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]؛ وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا أَتَاهُ قَوْمٌ بِصَدَقَتِهِمْ قَالَ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ فُلَانٍ. فَأَتَاهُ أَبِي بِصَدَقَتِهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى».[1]

﴿أَلا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾.

أي: لهم ما نووا من أجر الطاعة، وثواب النفقة، وسيدخلهم لله تعالى في رحمته، جزاء إيمانهم وطاعتهم.

١ - رواه البخاري-كِتَابُ الدَّعَوَاتِ، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ وَمَنْ خَصَّ أَخَاهُ بِالدُّعَاءِ دُونَ نَفْسِهِ، حديث رقم: ٦٣٣٢، ومسلم- كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ الدُّعَاءِ لِمَنْ أَتَى بِصَدَقَةٍ، حديث رقم: ١٠٧٨

﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

تذييل لبيان سعة رحمة الله تعالى بمن آمن به وأطاعه، أنه غفور لذنوبهم، ﴿رَحِيمٌ﴾ بأوليائه وأهل طاعته.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. سورة التوبة: الآية/ ١٠٠

مناسبة الآية لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى أقسام الكفار فبدأ بالمشركين، وثنى بأهل الكتاب، وثلث بالمنافقين، ذكر تعالى هنا أقسام المؤمنين من هذه الأمة فبدأ بالمهاجرين، وثنى بالأنصار وثلث بالذين اتبعوهم بإحسان.

﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾.

يخبر الله تعالى أنه رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، وأخبر أنهم رضوا عن الله تعالى، وهذه أعظم بشارة لأهل الإيمان من هذه الأمة، فإن رضوان الله تعالى أعظم فوز وأكبر من كل نعيم.

والمهاجرون الذين هجروا قومهم وعشيرتهم وفارقوا منازلهم وأوطانهم فرارًا إلى الله تعالى بدينهم.

والأنصار الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه من المشركين وأهل الكتب.

قال الشعبي: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ﴾: من أدرك بيعة الرضوان عام الحديبية.

وقال أبو موسى الأشعري، وسعيد بن المسيب، ومحمد بن سيرين، والحسن، وقتادة: هم الذين صلوا إلى القبلتين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال عطاء: هم أهل بدر.

وقيل: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ﴾: هم الذين أسلموا قبل الهجرة، والسابقون الأولون من الأنصار: هم الذين بايعوا مع رسول الله ليلة العقبة.

ومن في قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ﴾ بيانية.

﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾.

قيل: هم بقية المهاجرين والأنصار سوى السابقين الأولين منهم.

وقيل: هم الذين سلكوا سبيل المهاجرين والأنصار في الإيمان بالله تعالى وصدقوا رسوله ونصروا دين الله تعالى ممن جاء بعد أصحاب رسول صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة.

﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾.

أي: بإيمانهم وأعمالهم الحسنة، ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بما أفاض عليهم من النعم، ورضاهم عنه كناية عن كثرة إحسانه إليهم حتى رضيت نفوسهم لما أعطاهم ربهم.

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

الإعداد: التهيئة. وفيه إشعار بالعناية والكرامة، والإخبار عن رضوان الله تعالى، والوعد بالخلود في الجنات، والفوز العظيم يشمل الأقسام الثلاثة، ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، وأي فوز أعظم من الفوز برضوان الله تعالى؟

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلى عَذابٍ عَظِيمٍ (١٠١) وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. سورة التوبة: الآية/ ١٠١، ١٠٢

مناسبة الآية لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى أقسام المؤمنين من هذه الأمة، عطف عليهم مردة المنافقين من أهل المدينة ومن حولها، وعطفهم عليهم من باب عطف الضد على الضد، حتى يحذرهم المؤمنون.

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرابِ مُنافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفاقِ﴾.

﴿مَرَدُوا عَلَى النِّفاقِ﴾؛ أي: ثبتوا عليه عتوا وطغوا به، يقال: تمرد فلان على ربه أي: عتا، ومرد على معصيته، أي: مرن وثبت عليها واعتادها، يقول الله تعالى: وممن حولكم أيها المؤمنون ومن أهل المدينة منافقون ثبتوا على النفاق وعتوا بسببه.

﴿لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾.

أي: لا تعرفهم يا محمد بأعيانهم، لشدة تصنعهم، وتخفيهم بالكفر والبعد عن مواطن التهم والريبة، إلى الحد الذي جعل حالهم يخفى عليك، مع كمال فطنتك وصدق فراستك، ولكن نحن نعلمهم، ونَطّلِع على سرائرهم.

﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلى عَذابٍ عَظِيمٍ﴾.

سنعذبهم مرتين بالمصائب في الدنيا، وبعذاب القبر بعد الموت، ثم يردون إلى عذاب عظيم في نار جهنم.

﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً﴾.

قال ابن عباس: نزلت في أبي لبابة وجماعة من أصحابه، تخلفوا عن غزوة تبوك.

وقال مجاهد: إنها نزلت في أبي لبابة لما قال لبني قريظة: إنه الذبح، وأشار بيده إلى حلقه.

والآية وإن نزلت على سبب خاص فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

أي وآخرون، ليسوا من السابقين الأولين، ولا من الذين اتبعوهم بإحسان، ولا من المنافقين، بل هم قوم من المؤمنين المذنبين، ﴿خَلَطُوا عَمَلاً صالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً﴾، أي: ليسوا من الصالحين الخلص، ولا من المنافقين، بل آمنوا وعملوا الصالحات، واقترفوا بعض الذنوب والسيئات.

﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾.

أي: لعل الله أن يتوب عليهم، وعَسَى من الله واجبة.

﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

تذييل لبيان سعة رحمة الله تعالى بمن أذنب من عباده وتاب، وعظيم مغفرته لمن زلت قدمه من أهل الإيمان.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٣) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾. سورة التوبة: الآية/ ١٠٣، ١٠٤

مناسبة الآية لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى أن من المؤمنين من خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا، وأنهم تابوا لله تعالى وكان من توبتهم أنهم أتوا بأموالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لم أمر بأخذ أموالكم، أمره الله تعالى هنا بأخذ بعض أموالهم ليطهرهم الله تعالى ويزكيهم بها.

سبب نزول الآية:

روى الواحدي عن ابن عباس قال: نزلت في قوم كانوا قد تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ثم ندموا على ذلك، وقالوا: نكون في الكن والظلال مع النساء ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الجهاد، والله لنوثقن أنفسنا بالسواري فلا نطلقها حتى يكون الرسول هو الذي يطلقنا ويعذرنا، وأوثقوا أنفسهم بسواري المسجد، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بهم فرآهم، فقال: "من هؤلاء؟" قالوا: هؤلاء تخلفوا عنك، فعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذي تطلقهم وترضى عنهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم "وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى أومر بإطلاقهم، رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين"، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فلما نزلت أرسل إليهم النبي صلوات الله عليه وأطلقهم وعذرهم، فلما أطلقهم قالوا: يا رسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها عنا وطهرنا واستغفر لنا، فقال: "ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئا"، فأنزل الله عز وجل ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ الآية. وقال ابن عباس: كانوا عشرة رهط.[١]

١ - أسباب النزول للواحدي (ص: ٢٥٨)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال: الضحاك: لما أطلق نبي الله صلى الله عليه وسلم أبا لبابة وأصحابه، أتوا نبي الله بأموالهم، فقالوا: يا نبي الله خذ من أموالنا فتصدق به عنا، وطهرنا وصل علينا يقولون: استغفر لنا. فقال نبي الله: «لا آخذ من أموالكم شيئًا حتى أومر فيها». فأنزل الله عز وجل: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾، من ذنوبهم التي أصابوا.[1]

قوله تَعَالَى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾.

يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: يا محمد خذ من أموال هؤلاء الذين خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا واعترفوا بذنوبهم ثم تابوا منها، خذ من أموالهم صدقة تطهرهم بها من دنس ذنوبهم، ﴿وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾؛ أي: وتنميهم وترفعهم بها من منازل المنافقين إلى منازل الطائعين المخلصين.

﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾.

أي: أدع الله لهم واستغفر لهم، وقدمنا أن من السنة أن يدعو آخذ الصدقة لصاحب الصدقة إذا أخذها.

﴿إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾.

أي: إن دعاءك واستغفارك طمأنينة لقلوبهم، واستبشار لهم، والسكن: ما تسكن إليه النفس وتطمئن، وهو مشتق من السكون، وهو عدم القلق والاضطراب.

﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

تذييل لبيان فضل دعائه صلى الله عليه وسلم وأنه مستجاب عند الله تعالى، فقوله: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾؛ أي: لدعائك، ﴿عَلِيمٌ﴾، بحال عباده وما يصلحهم.

---

١ - تفسير الطبري جامع البيان (١١/ ٦٦١)

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾.

سؤال الغرض منه التقرير، وفيه بشارة لمن تاب لله تعالى بعد ذنبه، وأناب بعد إعراضه.

وعدي الفعل: (يَقْبَلُ) بـ (عن) لتضمنه معنى التجاوز؛ والمعنى: يقبل التوبة متجاوزًا عن عباده.

وذكر الضمير (هو) بعد لفظ الجلالة للتخصيص؛ أي: لا يقبل التوبة عن العباد غيره تعالى.

﴿وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾.

أي: يقبلها ويثيب عليها؛ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ».[1]

﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

التَّوَّابُ صيغة مبالغة؛ أي: كثير قبول التوبة، ﴿الرَّحِيمُ﴾، ومن رحمته تعالى ترك العقوبة والعفو عمن أذنب وأساء، وهذا وعد للذين خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا أنه تاب عليهم وقبل صدقتهم.

١ - رواه البخاري-كتَابُ الزَّكَاةِ، بَابٌ: لَا يَقْبَلُ اللهُ صَدَقَةً مِنْ غُلُولٍ وَلَا يَقْبَلُ إِلَّا مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ لِقَوْلِهِ: ﴿وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، حديث رقم: ١٤١٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ١٠٥

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَقُلِ﴾، يا محمد لهؤلاء التائبين الذين اعترفوا لك بذنوبهم من المتخلفين عن الجهاد معك: ﴿اعْمَلُوا﴾، لله بما يرضيه من طاعته وأداء فرائضه؛ فإن عملكم – خيرًا كان أو شرًا– لا يخفى على الله ولا على رسوله ولا على المؤمنين.

﴿فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾.

قال مجاهد: هذا وعيد لهم.

قال ابن كثير في قول مجاهد: يعني من الله تعالى للمخالفين أوامره بأن أعمالهم ستعرض عليه تبارك وتعالى، وعلى الرسول، وعلى المؤمنين. وهذا كائن لا محالة يوم القيامة، كما قال: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق: ٩].[١]

وقيل: الخطاب للمؤمنين جميعًا، فيكون ترغيبًا للمطيعين ووعيدًا للمذنبين؛ فكأنه قال: اجتهدوا في العمل في المستقبل فإن الله تعالى يرى أعمالكم ويجازيكم عليها، ويرى رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمؤمنون أعمالكم أيضًا.

وقيل: رؤية النبي صلى الله عليه وسلم بإعلام الله تعالى إياه، ورؤية المؤمنين بإيقاع المحبة في قلوبهم لأهل الصلاح، والبغضة لأهل الفساد.

﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

خبر المراد منه الترغيبُ للمطيعين والوعيدُ للمذنبين.

١ – تفسير ابن كثير– ت: السلامة (٤/ ٢٠٩)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾. سورة التوبة: الآية/ ١٠٦

مُرْجَوْنَ؛ أي: مؤخَّرون ومؤجلون لأمر الله تعالى فيهم، والإرجاء التأخير؛ ومنه قوله تعالى: ﴿قالُوا أَرْجِهْ وَأَخاهُ﴾ [الشعراء: ٣٦]؛ أي: أَخِّره وأخاه.

والكلام في هذه الآية معطوف عَلَى قَوْلِهِ: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: ١٠٢]، ونزلت هذه الآية في كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع؛ هم الثلاثة الذين خلفوا، كما قال ابن عباس وغيره، وستأتي قصتهم من بعد.

﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾.

لما كان تخلف هؤلاء الثلاثة لطلب الراحة والدعة وتعاهد الثمار والزروع، ولم يكن الحامل لهم على التخلف النفاق، وأخر الله تعالى قضاءه فيهم وشدد الله تعالى عليهم مع إخلاصهم، لأنهم كانوا من الأنصار وقد بايعوا النبيّ صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في المنشط والمكره، فجعلهم تحت عفوه تعالى ومشيئته، إن شاء عذبهم، وإن شاء تاب عليهم وغفر لهم؛ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: «بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ». رواه البخاري

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

أي: عليم بمن يستحق العقوبة ويستحق التوبة والعفو، ﴿حَكِيمٌ﴾. في أفعاله وأقواله، وتشريعه وأحكامه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِراراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصاداً لِمَنْ حارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنا إِلَاّ الْحُسْنى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ (١٠٧) لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾.

سورة التوبة: الآية/ ١٠٧، ١٠٨

سب نزول الآيات:

سبب نزول هذه الآية وما بعدها ما رواه ابن جرير والواحدي عن الزهري وغيره قالوا: "أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني من تبوك حتى نزل بذي أوان، بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار. وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله إنا قد بنينا مسجدًا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه فقال: «إِنِّي عَلَى جَنَاحِ سَفَرٍ وَحَالِ شُغْلٍ» أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «وَلَوْ قَدْ قَدِمْنَا أَتَيْنَاكُمْ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ فَصَلَّيْنَا لَكُمْ فِيهِ». فلما نزل بذي أوان أتاه خبر المسجد، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم أخا بني سالم بن عوف، ومعن بن عدي أو أخاه عاصم بن عدي أخا بني العجلان، فقال: «انْطَلِقَا إِلَى هَذَا الْمَسْجِدِ الظَّالِمِ أَهْلُهُ فَاهْدِمَاهُ وَحَرِّقَاهُ» فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم بن عوف، وهم رهط مالك بن الدخشم، فقال مالك لمعن: أنظرني حتى أخرج إليك بنار من أهلي فدخل أهله فأخذ سعفًا من النخل، فأشعل فيه نارًا، ثم خرجا يشتدان حتى دخلا المسجد وفيه أهله، فحرقاه وهدماه، وتفرقوا عنه. ونزل فيهم من القرآن ما نزل: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِراراً وَكُفْراً﴾ [التوبة: ١٠٧]، إلى آخر القصة. وكان الذين بنوه اثني عشر رجلًا: خذام بن خالد من بني عبيد بن زيد أحد بني عمرو بن عوف ومن داره أخرج مسجد الشقاق، وثعلبة بن حاطب، ومعتب بن قشير، وأبو حبيبة بن الأزعر، وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف من بني عمرو بن عوف، وجارية بن عامر وابناه: مجمع بن جارية، وزيد بن جارية، ونبتل بن الحارث، وبحزج، وبجاد بن عثمان، ووديعة بن ثابت.[1]

١ - تفسير الطبري جامع البيان- ط: هجر (١١/ ٦٧٣)، أسباب النزول للواحدي- ت: زغلول (ص٢٦٤)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قوله تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِراراً وَكُفْراً﴾.

الكلام معطوف على ما قبله من قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرابِ مُنافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفاقِ﴾. [التوبة: ١٠١]، وفيه هتك لستر فريق آخر من المنافقين الذين تقدم ذكر بعضهم في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ [التوبة: ٥٨]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ [التوبة: ٦١]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ﴾.[١]

وقرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا﴾ بغير واو فيكون كلامًا مبتدأ وخبره ﴿لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً﴾.

يقول الله تعالى: والذين بنوا مسجدًا ما بنوه إلا لمحاربة الدين وإضرار المؤمنين، أي محاولة إيقاع الضرر بهم، والمراد بالمؤمنين هنا أهل مسجد قباء، ونصب ضرارًا لأنه مفعول له، والمعنى: اتخذوه للضرار، ﴿وَكُفْراً﴾، واتخذوه ليكفروا فيه بالطعن في الإسلام ونبي الإسلام صلى الله عليه وسلم.

﴿وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

أي: واتخذوه للتفريق بين المؤمنين الذين هنالك، فإنهم كانوا يصلون جميعًا في مسجد قباء.

﴿وَإِرْصاداً لِمَنْ حارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾.

الإرصاد: يطلق ويراد به الانتِظَارُ، والإعداد، والترقب، وهذه المعاني الثلاثة مرادة هنا روى أبو عبيد عن الأصمعي والكسائي: رصدت فلانًا أرصده إذا ترقبته. وأرصدت له شيئًا أرصده: أعددت له.[٢]

ومنه قول النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم: «مَا يَسُرُّنِي أَنَّ عِنْدِي مِثْلَ أُحُدٍ هَذَا ذَهَبًا، تَمْضِي عَلَيَّ ثَالِثَةٌ وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ، إِلَّا شَيْئًا أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ». أي: أعده لدين.[٣]

---

١ - سورة التوبة: الآية/ ٧٥

٢ - لسان العرب (٣/ ١٧٧)

٣ - رواه البخاري- كتاب الرقاق، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، حديث رقم: ٦٤٤٥، ومسلم- كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ تَغْلِيظِ عُقُوبَةِ مَنْ لَا يُؤَدِّي الزَّكَاةَ، حديث رقم: ٩٩١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أي: واتخذوه كذلك ترقبًا لكل من حارب الله ورسوله، والمراد بمن حارب الله ورسوله أبو عامر الراهب وأمثاله، لأنه حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الأحزاب وحاربه مع ثقيف وهوازن، وكان قد مضى إلى هرقل ووعدهم أنه سيأتيهم بجيش من الروم لقتال النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فبنوا ذلك المسجد انتظارًا له.

﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنا إِلَاّ الْحُسْنى﴾.

يخبر الله تعالى عنهم أنهم سيحلفون: إنهم ما أرادوا ببنائه إلا للغاية التي تفوق غيرها في الحسن وهي الرفق بالمسلمين، وتيسير صلاة الجماعة على الضعفاء ومن يحبسهم المطر منهم، وأكد الله تعالى ذلك باللام الموطئة للقسم، ونون التوكيد.

﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ﴾.

أي: فلا تغتروا بحلفهم فإن الله تعالى الذي لا يخفى عليه شيء يشهد إنهم لكاذبون.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ١٠٨

لَمَّا بين الله تعالى مراد أولئك النفر من المنافقين من بناء مسجد الضِّرَارِ نهى الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فيه فقال: ﴿لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً﴾؛ أي: لا تقم للصلاة فيها ما حييت، وكانوا قد أتوا النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: قد فرغنا من بناء مسجدنا، فنحب أن تصلي فيه وتدعو لنا بالبركة؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾.

﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾.

اللام في (لَمَسْجِدٌ) لام الابتداء، وقيل: هي لام القسم، وتقدير الكلام: والله مسجد أسس على التَّقوى.. قال ابن عباس وعروة بن الزبير، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، والشعبي، والحسن البصري، وسعيد بن جبير، وقتادة: هو مسجد قباء، أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه أيام مقامه بقباء، وهي: يوم الاثنين، والثلاثاء، والأربعاء، والخميس، وخرج يوم الجمعة، وأمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالصلاة فيه لما له من الفضل فقد أسس بناؤه من أول يوم على طاعة الله، وطاعة رسوله، وبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم لجمع كلمة المؤمنين وموئلًا للإسلام وأهله، وقوله: أحق بمعنى حقيق، وليست أفعل تفضيل؛ لأن مسجد الضرار لا فضيلة له.

ومن فضل الصلاة فيه أن الصلاة فيه تعدل عمرة؛ فعن أُسَيْدِ بْن ظُهَيْرٍ الأَنْصَارِيّ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الصَّلَاةُ فِي مَسْجِدِ قُبَاءٍ كَعُمْرَةٍ».[1]

١ – رواه الترمذي– أَبْوَابُ الصَّلَاةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الصَّلَاةِ فِي مَسْجِدِ قُبَاءٍ، حديث رقم: ٣٢٤، وابن ماجه–كِتَابُ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَالسُّنَّةُ فِيهَا، بَابُ مَا جَاءَ فِي الصَّلَاةِ فِي مَسْجِدِ قُبَاءَ، حديث رقم: ١٤١١، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعن سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ أَتَى مَسْجِدَ قُبَاءٍ فَصَلَّى فِيهِ صَلَاةً كَانَ لَهُ كَأَجْرِ عُمْرَةٍ».[1]

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَأْتِي مَسْجِدَ قُبَاءٍ رَاكِبًا وَمَاشِيًا، فَيُصَلِّي فِيهِ رَكْعَتَيْنِ».[2]

وقيل: هو مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وهو قول عمر بن الخطاب، وابنه عبد الله، وزيد بن ثابت، وسعيد بن المسيب. واختاره ابن جرير.

ولا شك أن مسجد النبي صلى الله عليه وسلم أسس على التقوى من أول يوم وهو أحق بهذا الوصف، لكن المقارنة في الآية بين مسجد قباء ومسجد الضرار، الذي بني لتفريق أهل مسجد قباء.

﴿فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾.

أثنى الله تعالى عليه بحبهم للتطهر، وحرصهم على الصلاة لله تعالى بأبلغ الطهارة، وليسوا كأهل مسجد الضِّرار الذين يصلُّون صورية لا حقيقية، مع دنس اعتقادهم بالنفاق.

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾.

تذييل لبيان منزلتهم عند الله تعالى، ومحبة الله تعالى لهم محبة حقيقية، تليق بذات الله تعالى.

ووضع الظاهر موضع المضمر لبيان أن سبب نيل محبة الله تعالى إنما هو حب للتطهر.

---

١ - رواه ابن ماجه- كِتَابُ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَالسُّنَّةُ فِيهَا، بَابُ مَا جَاءَ فِي الصَّلَاةِ فِي مَسْجِدِ قُبَاءَ، حديث رقم: ١٤١٢، بسند صحيح

٢ - رواه البخاري- كتَابُ فَضْلِ الصَّلَاةِ فِي مَسْجِدِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، بَابُ إِتْيَانِ مَسْجِدِ قُبَاءٍ مَاشِيًا وَرَاكِبًا، حديث رقم: ١١٩٤، ومسلم- كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ فَضْلِ مَسْجِدِ قُبَاءٍ، وَفَضْلِ الصَّلَاةِ فِيهِ وَزِيَارَتِهِ، حديث رقم: ١٣٩٩

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ١٠٩

البنيان: مصدر يراد به المبنى ههنا، والتأسيس: إحكام أسس البناء وهو أصله، والشفا: حرف البئر وحرف الحفرة، والجُرُف: ما جرف السيل أصله، وهارٍ: اسم مشتق من هار البناء إذا تصدع، وأصله هائر.

هذا بيانٌ للفرق بين أهل مسجد قباء الذي بني على تقوى من الله ورضوان، وأهل مسجد الضرار الذي ما بنوه إلا مضارة للمؤمنين وتفريقًا لكلمتهم وإرصادًا لمن حارب الله ورسوله، فزادوا به رجسًا إلى رجسهم.

والهمزةُ في: (أَفَمَنْ) للإنكار، والفاء للعطف على مقدر؛ تقديره: (أبعدَ ما علم حالهم، فمن أسس بنيانه على تقوى..).

وفي قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ﴾. استعارة مكنية، حيث شبهت التّقوى والرّضوان بالقاعدة يقوم عليها البناء، وحذف المشبه به وأشير إلى شيء من لوازمه وهو التّأسيس.

يقول الله تعالى عن هؤلاء المنافقين الذين بنوا مسجد الضرار: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ.....﴾؛ أي: هل يستوي من أسس بنيانه على قاعدةٍ محكمة هي تقوى الله وابتغاء مرضاتِه بالطاعة، ومَنْ بنى مسجدًا ضرارًا وكفرًا وتفريقًا بين المؤمنين، وإرصادًا لمن حارب الله ورسوله من قبل، ﴿خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾؟

ووضع الظاهر موضع المضمر في: ﴿خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ﴾، لبيان اختلاف البُنيانين ذاتًا مع اختلافهما صفةً.

﴿أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

أم من أسس بنيانه على الشرك والنفاق، كمن بنى بناء على جرف متصدع لا أساس له فنهار بصاحبه الذي بناه في نار جهنم؟

والباء في (به) للتعدية.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

سورة التوبة: الآية/ ١١٠

يقول الله تعالى: لا يزال بنيان هؤلاء المنافقين الذين بنوا مسجد الضرار، ﴿رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾، يعنى: شكًّا ونفاقًا في قلوبهم، يزينه الشيطان لهم، وأنهم لما بنوا مسجد الضرار كانوا يحسنون صنعًا.

﴿إِلا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾.

أي: لا يزالون في شكٍّ منه إلى أن يموتوا، قال الضحاك: يقول: لا يزالون في شك منه إلى الموت، ودل على قراءة يعقوب الحضرمي: ﴿إِلى أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾.

وقيل: لا يزالون في شك منه حتى يتوبوا، توبة تتقطع منها قلوبهم ندمًا.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

أي: والله عليم بحال خلقه وما يضمرونه، حكيم في تدبيره وتشريعه ومن ذلك ما رتبه عليهم من الجزاء.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. سورة التوبة: الآية/ ١١٠

مناسبة الآية لما قبلها:

لما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ....﴾ [التَّوْبَة: ٣٨]، وذكر بعده أصناف المنافقين وأحوالهم، واستطرد الكلام إلى ذكر أقسام المخلفين عن الجهاد مع رسول صلى الله عليه وسلم، ذكر الله تعالى هنا فضل الجهاد وما أعده الله تعالى للمجاهدين في سبيله من الفضل.

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾.

يخبر الله تعالى أنه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم يبذلونها لله تعالى طيبة بها أنفسهم لتكون كلمة الله هي العليا، بما أعده الله تعالى لهم من جنات النعيم، وهو فضل تفضل الله تعالى به على عباده، فإن أنفسهم وأموالهم لله تعالى، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.[١]

وهذه الآية دليل على أنه الجنة لا يدخلها البطَّالُون؛ فعن أَبِي هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ المَنْزِلَ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الجَنَّةُ».[٢]

فعن بشير ابْنَ الْخَصَاصِيَّةِ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم لأُبَايِعَهُ، قَالَ: فَاشْتَرَطَ عَلَيَّ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنْ أُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَأَنْ أُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ، وَأَنْ أَحُجَّ حَجَّةَ الإِسْلَامِ،

١ – سورة الصف: الآية/ ١٠

٢ – رواه الترمذي– أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب، حديث رقم: ٢٤٥٠، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَأَنْ أَصُومَ شَهْرَ رَمَضَانَ، وَأَنْ أُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَمَّا اثْنَتَيْنِ، فَوَاللهِ مَا أُطِيقُهُمَا: الْجِهَادُ، وَالصَّدَقَةُ، فَإِنَّهُمْ زَعَمُوا، أَنَّهُ مَنْ وَلَّى الدُّبُرَ، فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ، فَأَخَافُ إِنْ حَضَرْتُ تِلْكَ جَشِعَتْ نَفْسِي، وَكَرِهَتِ الْمَوْتَ، وَالصَّدَقَةُ: فَوَاللهِ، مَا لِي إِلَّا غُنَيْمَةٌ، وَعَشْرُ ذَوْدٍ، هُنَّ رَسَلُ أَهْلِي وَحَمُولَتُهُمْ، قَالَ: فَقَبَضَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَدَهُ، ثُمَّ حَرَّكَ يَدَهُ، ثُمَّ قَالَ: فَلَا جِهَادَ وَلَا صَدَقَةَ، فَبِمَ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِذًا؟ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَا أُبَايِعُكَ، قَالَ: فَبَايَعْتُ عَلَيْهِنَّ كُلِّهِنَّ".[1]

﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾.

تفسير لما أبهم في أول الآية من قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾، أي: اشترى الله تعالى منهم أنفسهم بأن لهم الجنة على أن يقاتلوا في سبيل الله قتلوا أو لم يقتلوا.

﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾.

هذا تأكيد لتلك المبايعة جعله الله تعالى وعدًا منه تعالى لعباده المؤمنين المجاهدين في سبيله، وأكده الله تعالى بقوله: (حقًّا) وإن كانت الجنة من فضله وإحسانه بعباده، لتأكيد ثبوت ذلك الوعد منه تعالى، ثم أخبر تعالى أن ذلك الوعد كتبه الله تعالى لأوليائه في التوراة والإنجيل والقرآن.

﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾.

سؤال الغرض منه التقرير؛ أي: ولا أحد أوفى بعهده من الله تعالى، ووضع الظاهر موضع المضمر لما لاسم الله تعالى من الهيبة العظيمة في النفوس، ولاستحضار صفات الكمال لله تعالى.

---

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ٢١٩٥٢، والطبراني في الكبير- حديث رقم: ١٢٣٣، الأوسط- حديث رقم ١١٢٦، والحاكم- كِتَابُ الْجِهَادِ، حديث رقم: ٢٤٢١، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ﴾.

ولما كان هذا الوعد من الله تعالى من أعظم أسباب العز والتمكين في الدنيا، ومن أعظم أسباب الفوز والفلاح في الآخرة، أمر الله تعالى عباده المجاهدين بالاستبشار والفرح بذلك البيع الرابح؛ كما قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾.[1]

﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

لأنه تعالى رضي منهم بالقليل، ووعدهم عليه الكثير الدائم من الثواب الجزيل والنعيم المقيم، وتقديم الضمير للتخصيص؛ أي: لا فوز أعظم من هذا الفوز الذي تحقق لهم.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿التَّائِبُونَ الْعابِدُونَ الْحامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ١١٢

لما ذكر الله تعالى أنه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنهم لهم الجنة، وأثنى عليهم ببذلهم الأموال والأنفس في سبيل مرضاة الله تعالى بين الله تعالى هنا صفاتهم التي نالوا بها شرف تلك المبايعة، وخصالهم التي يحبها الله ويرضاها من عباده فقال: ﴿التَّائِبُونَ﴾، أي: تابوا من الشرك من جميع الآثام، واختلف سبب الرفع فقيل: التائبون خبر لمبتدأ محذوف وتقدير الكلام: هم التائبون.

وقيل: التائبون مبتدأ وخبره محذوف تقديره: التائبون العابدون من أهل الجنة كذلك؛ ودل على ذلك ما رواه البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا. فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا نُبَشِّرُ النَّاسَ قَالَ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ

١ - سورة يونس: الآية/ ٥٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ».[1]

﴿الْعابِدُونَ﴾، أي: المطيعون له تعالى الذين أخلصوا له العبادة.

﴿الْحامِدُونَ﴾، أي: الذين يثنون على الله تعالى في السراء والضراء.

﴿السَّائِحُونَ﴾، أي: والمجاهدون في سبيل الله، وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي فِي السِّيَاحَةِ، قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ سِيَاحَةَ أُمَّتِي الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى».[2]

وقال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما: هم الصائمون، ودل على هذا القول وصف الله تعالى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في قوله تعالى: ﴿سَائِحَاتٍ﴾ [التحريم: ٥]؛ أي: صائمات.

﴿الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ﴾.

أي: المحافظون على الصلوات.

﴿الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾.

أي: الآمرون بالإيمان والطاعة، والناهون عن الشرك والمعاصي، وعطف بينهما لأنهما في حكم الخصلة الواحدة.

﴿وَالْحافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾.

قال الحسن: القائمون بأمر الله، والواقفون عن معالم الشرع.

---

١ - رواه البخاري-كتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ دَرَجَاتِ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ يُقَالُ هَذِهِ سَبِيلِي وَهَذَا سَبِيلِي، حديث رقم: ٢٧٩٠

٢ - رواه أبو داود-كِتَاب الْجِهَادِ، بَابٌ فِي النَّهْيِ عَنِ السِّيَاحَةِ، حديث رقم: ٢٤٨٦، بسند حسن.

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ببشارة المؤمنين، بعد قوله تعالى: ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ﴾، ليجعل لهم نصيبًا في الاستبشار كالمجاهدين، وإن كان المجاهدون أعلى درجةً وأرفع رتبة؛ لأن بشارتهم من الله تعالى.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾. سورة التوبة: الآية/ ١١٣

مناسبة الآية لما قبلها:

لما أمر الله تعالى المؤمنين بالجهاد في سبيله، أمر الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالبراءة من المشركين الأحياء منهم والأموات وقطع موالاتهم.

سبب نزول الآيات:

عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ، دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: أَيْ عَمِّ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ، فَنَزَلَتْ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾».[1]

وقيل سبب نزولها ما ورد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَنْظُرُ فِي الْمَقَابِرِ، وَخَرَجْنَا مَعَهُ، فَأَمَرَنَا فَجَلَسْنَا، ثُمَّ تَخَطَّا الْقُبُورَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَبْرٍ مِنْهَا فَنَاجَاهُ طَوِيلًا، ثُمَّ ارْتَفَعَ نَحِيبُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَاكِيًا فَبَكَيْنَا لِبُكَائِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَيْنَا فَتَلَقَّاهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الَّذِي أَبْكَاكَ فَقَدْ أَبْكَانَا، وَأَفْزَعَنَا، فَجَاءَ فَجَلَسَ إِلَيْنَا فَقَالَ: «أَفْزَعَكُمْ بُكَائِي؟» فَقُلْنَا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ: "إِنَّ الْقَبْرَ الَّذِي رَأَيْتُمُونِي أُنَاجِي فِيهِ، قَبْرُ أُمِّي آمِنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ وَإِنِّي اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي زِيَارَتِهَا، فَأَذِنَ لِي فِيهِ، فَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي الِاسْتِغْفَارِ لَهَا، فَلَمْ يَأْذَنْ لِي فِيهِ، وَنَزَلَ عَلَيَّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣]، حَتَّى خَتَمَ الْآيَةَ

١ - رواه البخاري-كتاب الجنائز، بَابُ: إِذَا قَالَ الْمُشْرِكُ عِنْدَ الْمَوْتِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، حديث رقم: ١٣٦٠، ومسلم- كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابٌ: أَوَّلُ الْإِيمَانِ قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، حديث رقم: ٢٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأبِيهِ إِلا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾. [التوبة: ١١٤]، فَأَخَذَنِي مَا يَأْخُذُ الْوَلَدَ لِوَالِدِهِ مِنَ الرِّقَةِ فَذَلِكَ الَّذِي أَبْكَانِي".[١]

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

هذا نفي بمعنى النهي، ومثله قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ﴾ [مريم: ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ﴾ [آل عمران: ١٤٥]، وهو أبلغ من النهي المجرد؛ لأنه نفي الشأن، ونفي الشأن أبلغ في نفي الشيء نفسه، لأنه نفي معلل بالسبب المقتضي له.

يقول تعالى: ما كان ينبغي للنبي محمد صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا به أن يدعوا بالمغفرة للمشركين، ولو كان المشركون الذين يستغفرون لهم ذوي قرابة لهم، من بعد ما تبين لهم أنهم من أصحاب النار لما ماتوا على الشرك وعبادة الأوثان؛ لأن الله قد قضى أنه لا يغفر للمشركين.

---

١ – رواه عبد الرزاق في مصنفه– كتاب الجنائز، بَابٌ فِي زِيَارَةِ الْقُبُورِ، حديث رقم: ٦٩٢٠، والحاكم في المستدرك– كِتَابُ التَّفْسِيرِ، تَفْسِيرُ سُورَةِ التَّوْبَةِ، حديث رقم: ٣٢٩٢، وابن حبان– النوع الخامس، أفعال فعلها صلى الله عليه وسلم فعاتبه الله جل وعلا عليها، ذِكْرُ مَا يُسْتَحَبُّ لِلْمَرْءِ أَنْ يَتْرُكَ الِاسْتِغْفَارَ لِقَرَابَتِهِ الْمُشْرِكِينَ أَصْلاً، حديث رقم: ٦٢٩٧، وضعفه الألباني في الضعيفة (٥١٣١)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾. سورة التوبة: الآية/ ١١٤

لما نهى الله تعالى عن الاستغفار للمشركين ربما توهم بعض النا أن ذلك النهي لي على سبيل الحتم والإلزام، وذلك لما ورد من استغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه وهو مشرك وذلك في قوله تعالى: ﴿وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ [الشعراء: ٨٦]، فدفع الله تعالى ذلك التوهم بقوله: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأبِيهِ إِلا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ...﴾.

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾.

أي: فلمَّا مات أبوه على الكفر تبرَّأ منه إبراهيم عليه السلام؛ لما قضاه الله تعالى من تحريم الجنة على كل مشرك؛ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِي فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَالْيَوْمَ لَا أَعْصِيكَ فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الْأَبْعَدِ فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: إِنِّي حَرَّمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطِخٍ فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ».[١]

وقد أمر الله تعالى المؤمنين باتباع ملة إبراهيم بإبراهيم عليه السلام والتأسي به إلا في دعائه لأبيه؛ قال تعالى: ﴿قَدْ كانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْراهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنا بِكُمْ وَبَدا بَيْنَنا وَبَيْنَكُمُ الْعَداوَةُ وَالْبَغْضاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَاّ قَوْلَ إِبْراهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَما أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾.[٢]

---

١ - رواه البخاري-بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلا﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾، وَقَالَ أَبُو مَيْسَرَةَ: الرَّحِيمُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ، حديث رقم: ٣٣٥٠

٢ - سورة الممتحنة: الآية/ ٤

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾.

الأواه صيغة مبالغة على وزن فَعّال من التأوّه؛ أي: كثير التأوه، وهو كثير الحزن والأسف والتضرع.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَّادِ بْنِ الْهَادِ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم جَالِسٌ قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْأَوَّاهُ؟ قَالَ: "الْمُتَضَرِّعُ"، قَالَ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾.[1]

وقال عن عبد الله بن مسعود أنه قال: الأواه: الدَّعَّاءُ.

قال الْمُثَقِّب:

إذا ما قمتُ أرْحَلُها بليل ***** تأَوَّهُ آهةَ الرجل الحزينِ

أصلها: تتأوه، بتاءين.

١ - تفسير الطبري (١٢/ ٤٣)، وابن المبارك في الزهد والرقائق- بَابُ فَضْلِ ذِكْرِ اللَّهِ عز وجل، حديث رقم: ١١٥٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١٥) إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾.

سورة التوبة: الآية/ ١١٥، ١١٦

مناسبة الآية لما قبلها:

لما نهى الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عن الاستغفار للمشركين ولو كانوا أولي قربي بين أنه تعالى ما حكم عليهم بالضلال وأقام عليهم الحجة.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

يخبر الله تعالى أن كمال عدله ومقتضى رحمته بخلقه ألا يقضي على أحد بالضلال بعد أن أرشدهم إلى ما يحبه ويرضاه، وما يسخطه ويأباه، حتى يقيم عليهم الحجة ببيان واضح لا لبس فيه ولا إشكال؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾.[1]

﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾.

يقول الله تعالى لعباده المؤمنين الذين باعوا أنفسهم وأموالهم لله تعالى لا يَهُولَنَّكم كثرةُ الأعداء، وترهبكم قوتهم؛ فإن الله تعالى له ملك السماوات والأرض، وبيده مقاليد كل شيء، فأسلموا له زمام أموركم وتوكَّلوا عليه في جميع أحوالكم وأَوْفوا له بالمبايعةِ لينصرْكم، فهو الذي يحيي ويميت، وهو الذي يعز ويذل.

﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾.

تهديد ووعيد لمن لم يثق في موعود الله تعالى، بأنه لن يجيره من الله أحد، ولن يجد من دونه ملتحدًا.

١ - سورة فصّلت: الآية/ ١٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾. سورة التوبة: الآية/ ١١٧

مناسبة الآية لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى أحوال المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، وما توعدهم الله تعالى به على نفاقهم وتخلفهم، ذكر الله تعالى هنا من امتثل أمره، وآثره رضاه على محبوبات نفسه، وما أكرمهم الله تعالى به من المنزلة العالية، والدرجة السامية، والتي لا تتحقق إلا بالتوبة والمغفرة، ومحو الذنوب والسيئات.

﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾.

يخبر الله تعالى أنه تاب على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة، والمراد أن رجع بهم بعد غزوة تبوك من حالة أكمل وأرفع مما كانوا عليه قبل الغزوة، ولا يلزم من إخبار الله تعالى عنهم أنه تاب عليهم أن ذلك كان لذنب اقترفوه؛ وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، فهو خبر من الله تعالى عن إكرامه نبيه صلى الله عليه وسلم ومن اتبعه من المهاجرين والأنصار في هذه الغزوة.

﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾.

أي: الذين اتبعوه وقت العسرة، والساعة تطلق على المدة الزمنية غير المحددة، وسميت غزوة تبوك بغزوة العسرة؛ لما أصابها فيها من المشقَّةِ الشديدة بسبب قلةِ الزاد والماء والمركب، وشدة الحر.

قال عبد الله بن محمد بن عقيل: كان ذلك عسرةً من الماء، وعسرةً من النفقة، وعسرةً من الظَّهر.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ﴾.

أي: من بعد ما كاد فريق من المؤمنين تزيغ قلوبهم عن الحق وترتاب في دين رسول الله صلى الله عليه وسلم، بسبب ما هموا به من الرجوع لما نالهم من المشقة الشديدة في هذه الغزوة.

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

أي: ثم تداركهم الله تعالى برحمته الواسعة، فتاب عليهم فيمن تاب عليهم، جمع بين الصفتين لتعليل التوبة والمبالغة في تأكيدها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذا ضاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ وَضاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾. سورة التوبة: الآية/ ١١٨

سبب نزول هذه الآية:

قال عامة المفسرين: نزلت هذه الآية في ثلاثة نفر: كعب بن مالك من بني سلمة، وهلال بن أمية الواقفي، ومرارة بن الربيع الزبيدي كانوا تخلفوا عن غزوة تبوك وكانوا مياسير، ثم لم يتسع لهم العذر كما اتسع لغيرهم ممن أخبر الله تعالى أنه تاب عليهم فيما تقدم.

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، وَكَانَ قَائِدَ كَعْبٍ مِنْ بَنِيهِ حِينَ عَمِيَ، قَالَ: «سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ قِصَّةِ تَبُوكَ، قَالَ كَعْبٌ: لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهَا، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ حَتَّى جَمَعَ اللهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ، وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ، حِينَ تَوَاثَقْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ، وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ، وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا، كَانَ مِنْ خَبَرِي أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْغَزَاةِ، وَاللهِ مَا اجْتَمَعَتْ عِنْدِي قَبْلَهُ رَاحِلَتَانِ قَطُّ، حَتَّى جَمَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ، وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُرِيدُ غَزْوَةً إِلَّا وَرَّى بِغَيْرِهَا، حَتَّى كَانَتْ تِلْكَ الْغَزْوَةُ غَزَاهَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا، وَمَفَازًا، وَعَدُوًّا كَثِيرًا، فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ، وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم كَثِيرٌ وَلَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ - يُرِيدُ الدِّيوَانَ - قَالَ كَعْبٌ: فَمَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إِلَّا ظَنَّ أَنْ سَيَخْفَى لَهُ مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيُ اللهِ، وَغَزَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم تِلْكَ الْغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثِّمَارُ وَالظِّلَالُ، وَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، فَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ، فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: أَنَا قَادِرٌ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ يَتَمَادَى بِي حَتَّى اشْتَدَّ بِالنَّاسِ الْجِدُّ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جَهَازِي شَيْئًا،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَقُلْتُ: أَتَجَهَّزُ بَعْدَهُ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ ثُمَّ أَلْحَقُهُمْ، فَغَدَوْتُ بَعْدَ أَنْ فَصَلُوا لِأَتَجَهَّزَ فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، ثُمَّ غَدَوْتُ، ثُمَّ رَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَلَمْ يَزَلْ بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الْغَزْوُ، وَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ، فَلَمْ يُقَدَّرْ لِي ذَلِكَ، فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَطُفْتُ فِيهِمْ أَحْزَنَنِي أَنِّي لَا أَرَى إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ النِّفَاقُ، أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ، وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ، فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ: مَا فَعَلَ كَعْبٌ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: يَا رَسُولَ اللهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِهِ، فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: بِئْسَ مَا قُلْتَ، وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ: فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّهُ تَوَجَّهَ قَافِلًا، حَضَرَنِي هَمِّي، وَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ، وَأَقُولُ: بِمَاذَا أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا، وَاسْتَعَنْتُ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي، فَلَمَّا قِيلَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا زَاحَ عَنِّي الْبَاطِلُ وَعَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَخْرُجَ مِنْهُ أَبَدًا بِشَيْءٍ فِيهِ كَذِبٌ، فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ، وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَادِمًا، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَيَرْكَعُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا، فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَلَانِيَتَهُمْ وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللهِ، فَجِئْتُهُ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ، تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ: تَعَالَ، فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: مَا خَلَّفَكَ، أَلَمْ تَكُنْ قَدِ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ، فَقُلْتُ: بَلَى، إِنِّي وَاللهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا، وَلَكِنِّي وَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي، لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ، إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللهِ، لَا وَاللهِ مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، وَاللهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِيكَ، فَقُمْتُ، وَثَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فَاتَّبَعُونِي، فَقَالُوا لِي: وَاللهِ مَا عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا، وَلَقَدْ عَجَزْتَ أَنْ لَا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِمَا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ الْمُتَخَلِّفُونَ، قَدْ كَانَ كَافِيَكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم لَكَ، فَوَاللهِ مَا زَالُوا يُؤَنِّبُونِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِي أَحَدٌ؟

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالُوا: نَعَمْ، رَجُلَانِ قَالَا مِثْلَ مَا قُلْتَ، فَقِيلَ لَهُمَا مِثْلُ مَا قِيلَ لَكَ، فَقُلْتُ: مَنْ هُمَا؟ قَالُوا: مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعَمْرِيُّ، وَهِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ، فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بَدْرًا، فِيهِمَا أُسْوَةٌ، فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي، وَنَهَى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ وَتَغَيَّرُوا لَنَا، حَتَّى تَنَكَّرَتْ فِي نَفْسِي الْأَرْضُ، فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتِي رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ، وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ عَلَيَّ أَمْ لَا؟ ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ، فَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ، وَإِذَا الْتَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ النَّاسِ، مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَاللهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ، أَنْشُدُكَ بِاللهِ، هَلْ تَعْلَمُنِي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ؟ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ، فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ، فَقَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَفَاضَتْ عَيْنَايَ وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ، قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ الْمَدِينَةِ إِذَا نَبَطِيٌّ مِنْ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّأْمِ مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ، حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ، فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللهُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلَا مَضْيَعَةٍ، فَالْحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ. فَقُلْتُ لَمَّا قَرَأْتُهَا: وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الْبَلَاءِ، فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهُ بِهَا، حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنَ الْخَمْسِينَ إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَأْتِينِي، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ، فَقُلْتُ: أُطَلِّقُهَا أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟ قَالَ: لَا، بَلِ اعْتَزِلْهَا وَلَا تَقْرَبْهَا، وَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبَيَّ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: الْحَقِي بِأَهْلِكِ فَتَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ، قَالَ كَعْبٌ: فَجَاءَتِ امْرَأَةُ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ، فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ لَا يَقْرَبْكِ، قَالَتْ: إِنَّهُ وَاللهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ، وَاللهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا، فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي: لَوِ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي امْرَأَتِكَ كَمَا أَذِنَ لِامْرَأَةِ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تَخْدُمَهُ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لَا أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَمَا يُدْرِينِي مَا يَقُولُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ، فَلَبِثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ حَتَّى كَمَلَتْ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ كَلَامِنَا، فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى جَبَلِ سَلْعٍ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ، أَبْشِرْ، قَالَ: فَخَرَرْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ، وَآذَنَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِتَوْبَةِ اللهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، وَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ إِلَيَّ رَجُلٌ فَرَسًا، وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ فَأَوْفَى عَلَى الْجَبَلِ، وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا بِبُشْرَاهُ، وَاللهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، وَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَيَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا يُهَنِّئُونِي بِالتَّوْبَةِ، يَقُولُونَ: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللهِ عَلَيْكَ، قَالَ كَعْبٌ: حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ: يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي، وَاللهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ، وَلَا أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ. قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ، قَالَ: قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللهِ، أَمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ، قَالَ: لَا، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللهِ وَإِلَى رَسُولِ اللهِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، قُلْتُ: فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْبَرَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللهَ إِنَّمَا نَجَّانِي بِالصِّدْقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيتُ، فَوَاللهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ اللهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي، مَا تَعَمَّدْتُ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللهُ فِيمَا بَقِيتُ، وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم: ﴿لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَوَاللهِ مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنْ لَا أَكُونَ كَذَبْتُهُ فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا، فَإِنَّ اللهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ شَرَّ مَا قَالَ لِأَحَدٍ، فَقَالَ تبارك وتعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّ اللهَ لا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾. قَالَ كَعْبٌ: وَكُنَّا تَخَلَّفْنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ عَنْ أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم حِينَ حَلَفُوا لَهُ فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى اللهُ فِيهِ، فَبِذَلِكَ قَالَ اللهُ: ﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ مِمَّا خُلِّفْنَا عَنِ الْغَزْوِ، إِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا، وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا، عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ». [1]

قوله تَعَالَى: ﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾.

يقول الله تعالى: وتاب الله على الثلاثة الذين أرجئوا عن التَّوبة فيمن تاب الله عليهم، قال مجاهد: كلهم من الأنصار: هلال بن أمية، ومرارة بن ربيعة، وكعب بن مالك، وهؤلاء هم المعنيون بقوله: ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللَّهِ﴾. [2]

﴿حَتَّى إِذا ضاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ وَضاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ﴾.

رَحُبَتْ: اتَّسعت، يقال: رَحُب رُحْبًا، فهو رَحْبٌ أي: واسع.

لأنهم حين أقروا عنده بالذنب، ولم يكن لهم عذر في تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يستغفر لهم رسول الله عليه وسلم وأخر أمرهم، ونهى المسلمين عن كلامهم، وأمرهم أن يعتزلوا نساءهم حتى أتت عليهم خمسون ليلة، فضاقت عليهم الأرض على سعتها، وضاقت عليهم أنفسهم من جفوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمسلمين لهم، فبلغ بهم الهم والغم مبلغًا عظيما جدًا حتى ضاقت عليهم السبل، فلم يجدوا مخرجًا ولم يهتدوا لحيلة، قَالَ الشاعر:

---

١ - رواه البخاري- كتاب المغازي، حَدِيثُ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ وَقَوْلُ اللهِ عز وجل: ﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾، حديث رقم: ٤٤١٨، ومسلم-كتاب التوبة، بَابُ حَدِيثِ تَوْبَةِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ وَصَاحِبَيْهِ، حديث رقم: ٢٧٦٩

٢ - سورة التوبة: الآية/ ١٠٦

كـأَنَّ بِلادَ الله، وَهْيَ عَرِيضَـــةٌ ***** عَلَى الخـائِفَ المطلوب كِفَّـة حَـابِـلِ

﴿وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾.

أي: وتيقنوا، أن لا عاصَمَ لهم من اللَّه إلا هو، ولا منجى من عقاب اللَّه إلا عفوُ اللَّه.

﴿ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

أي: ثم وفَّقهم الله تعالى للتوبة فتابوا؛ قال أبو بكر الوراق: التوبة النصوح أن تضيق على التائب الأرض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة هؤلاء الثلاثة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ١١٩

مناسبة الآية لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى حال المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وجاهدوا مع رسوله صلى الله عليه وسلم بأموالهم وأنفسهم، وحال من تخلف عن رسوله صلى الله عليه وسلم وتابوا لله تعالى وصدقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاعتراف بعدم العذر فتاب الله تعالى عليهم بصدقهم، وذكر حال المنافقين الذين كذبوا الله ورسوله، فهلكوا بكذبهم على الله ورسوله، أمر الله تعالى المؤمنين أن يكونوا مع الصادقين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.

هذا خطاب لجميع المؤمنين يأمرهم الله تعالى أن اتقوا أسباب سخطه، وأن يتقوا عذابه، وأن يصدقوا ويلزموا الصدق ليكونوا مع المؤمنين الصادقين، الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذين أثنى الله تعالى عليهم بصدقهم؛ كما قال الله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا مَا عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب: ٢٣]، وأن يكونوا مع الذين صدقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاعتراف بعدم العذر فتاب الله تعالى عليهم بصدقهم؛ كما قال كعب بن مالك رضي الله عنه: "قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللهَ إِنَّمَا نَجَّانِي بِالصِّدْقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيتُ". وألا يكونوا مع المنافقين الذين كذبوا الله ورسوله.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: مع الذين صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم وأعمالهم وخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك بإخلاص نية.

وقيل: مع الذين صدقوا في الاعتراف بالذنب ولم يعتذروا بالأعذار الكاذبة.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: "لَا يَصْلُحُ الْكَذِبُ فِي جِدٍّ وَلَا هَزْل ثم تلا: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾".[١]

١ - رواه البخاري في الأدب المفرد- بَابُ لَا يَصْلُحُ الْكَذِبُ، حديث رقم: ٣٨٧، وسعيد بن منصور- تَفْسِيرُ سُورَةِ التَّوْبَةِ، حديث رقم: ١٠٤٩، وابن أبي شيبة في مصنفه، ما جاء في الكذب، حديث رقم: ٢٧٢٥٨

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا».[1]

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ وَمَا يُنْهَى عَنِ الْكَذِبِ، حديث رقم: ٦٠٩٤، ومسلم- كِتَابُ البِرِّ وَالصِّلَةِ وَالآدَابِ، بَابُ قُبحِ الكَذِبِ وَحُسنِ الصِّدقِ وَفَضلِهِ، حديث رقم: ٢٦٠٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلا إِلا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ١٢٠

يقول تعالى: ما كان ينبغي لأهل المدينة يعني: مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن حولهم من الأعراب من سكان البادية قال ابن عباس: يعني: مزينة، وجهينة، وأسلم، وأشجع، وغفار.

أي: ما كان ينبغي لهم أن يتخلَّفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استَنفرهم إلى الغزو والجهاد في سبيل الله تعالى.

﴿وَلا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾.

أي: وما كان ينبغي لهم أن يرضوا لأنفسهم بالخفض والدعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الحر والمشقة، يقال: رغبت بنفسي عن هذا الأمر؛ أي: ترفعت عنه.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾.

أي: ذلك بأنهم لا يصيبهم عطش شديد.

﴿وَلا نَصَبٌ﴾.

هو التعب والإعياء.

﴿وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

أي: ولا يصيبهم جوع شديد في جهادهم في سبيل الله تعالى.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ﴾.

أي: ولا يطؤون بأقدامهم أرضًا، يكون بلوغ تلك الأرض سبب غيظ الكفار ورهبتهم من المسلمين، و ﴿مَوْطِئًا﴾، نكرة في سياق النفي تفيد العموم؛ ليعم كل موطيء يغيظ وطؤه الكفار، سواء كان من أرض الكفار، أم من أرض المسلمين.

﴿وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلا إِلا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾.

أي: ولا يصيبون من أحدٍ منهم شيئًا من جَرحٍ أو قتلٍ أو ضربٍ أو تشديدٍ أو أخذِ مالٍ ونحوِ ذلك إلا كتب الله تعالى لهم بذلك أجرًا وثوابًا.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

تذييل لبيان أن من كان هذا شأنه كان من المحسنين، والله تعالى أكرم وأعظم وأجل من أن يضيع أجر المحسنين في الجهاد وغيره.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً وَلا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ١٢١

أي: ولا ينفق هؤلاء المجاهدون في سبيل الله نفقة صغيرة حتى التمرة ولا كبيرة إلا كتب الله تعالى لهم ثواب ذلك عنده.

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَبَّابٍ، قَالَ: شَهِدْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يَحُثُّ عَلَى جَيْشِ الْعُسْرَةِ فَقَامَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيَّ مِائَةُ بَعِيرٍ بِأَحْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ حَضَّ عَلَى الْجَيْشِ فَقَامَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيَّ مِائَتَا بَعِيرٍ بِأَحْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ حَضَّ عَلَى الْجَيْشِ فَقَامَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيَّ ثَلَاثُ مِائَةِ بَعِيرٍ بِأَحْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَأَنَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَنْزِلُ عَنِ الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَقُولُ: «مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ، مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ».[1]

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: جَاءَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِأَلْفِ دِينَارٍ فِي ثَوْبِهِ حِينَ جَهَّزَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم جَيْشَ الْعُسْرَةِ، قَالَ: فَصَبَّهَا فِي حِجْرِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَجَعَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُقَلِّبُهَا بِيَدِهِ وَيَقُولُ: «مَا ضَرَّ ابْنُ عَفَّانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ». رواه أحمد يُرَدِّدُهَا مِرَارًا».[2]

﴿وَلا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلا كُتِبَ لَهُمْ﴾.

أي: وَلا يَقْطَعُونَ في مسيرهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهابًا وإيابًا وادِيًا وهو كل منعرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودي إذا سال، ومنه الوَدْيُ، ثم شاع استعماله بمعنى الأرض، ﴿إِلا كُتِبَ لَهُمْ﴾؛ يعني الإنفاق في سبيل الله وقطع الأودية؛ أي: إلا أثبت لهم ذلك في صحائف حسناتهم.

---

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ١٦٦٩٦، والترمذي- أَبْوَابُ الْمَنَاقِبِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب، حديث رقم: ٣٧٠٠، بسند ضعيف

٢ - رواه أحمد- حديث رقم: ٢٠٦٣٠، وابن أبي عاصم- بَابٌ فِي فَضْلِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه، حديث رقم: ١٢٧٩، بسند حسن

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

أي: ليجزيهم اللهُ جزاءً هو أحسن من أعمالهم وأفضل، يثيبهم به على أعمالهم.

وقيل المعنى: ليجزيهم على الأحسنِ من أعمالهم؛ كما قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾.[1]

١ - سورة الأحقاف: الآية/ ١٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ١٢٢

سبب نزول الآية:

سبب نزول هذه الآية ما رواه الواحدي عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عُيُوبَ الْمُنَافِقِينَ لِتَخَلُّفِهِمْ عَنِ الْجِهَادِ قَالَ الْمُؤْمِنُونَ: وَاللَّهِ لَا نَتَخَلَّفُ عَنْ غَزْوَةٍ يَغْزُوهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَلَا سَرِيَّةٍ أَبَدًا، فَلَمَّا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِالسَّرَايَا إِلَى الْعَدُوِّ نَفَرَ الْمُسْلِمُونَ جَمِيعًا وَتَرَكُوا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَحْدَهُ بِالْمَدِينَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ.

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾.

لما أمر الله تعالى المؤمنين أن ينفروا خفافا وثقالا بقوله: ﴿انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالًا﴾ [التَّوْبَةِ: ٤١]، وحذر الله تعالى المؤمنين عن التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿مَا كانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرابِ﴾ [التوبة: ١٢١]، وتوعد الله تعالى المخلفين عنه صلى الله عليه وسلم بالوعيد الشديد بقوله: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجاهِدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقالُوا لا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨١]، امتثل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الله تعالى، فنفروا جميعًا، فقال الله تعالى: ما كان المؤمنون لينفروا جميعًا ويتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده، فنسخ ذلك الحكم الأول، وجاء التخفيف من الله تعالى فنزلت هذه الآية: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً.....﴾.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا﴾ [النساء: ٧١]، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾.[١]

١ - سورة التوبة: الآية/ ٤١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ: نَسَخَتْهَا: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾، قَالَ: تَنْفِرُ طَائِفَةٌ وَتَمْكُثُ طَائِفَةٌ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَالْمَاكِثُونَ هُمُ الَّذِينَ يَتَفَقَّهُونَ فِي الدِّينِ وَيُنْذِرُونَ إِخْوَانَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ مِنَ الْغَزْوِ بِمَا نَزَلَ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ وَكِتَابِهِ وَحُدُودِهِ.[1]

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بنُ سَلَّامٍ:" فَلَوْلَا هَذِهِ الْآيَةُ لَكَانَ الْجِهَادُ حَتْمًا وَاجِبًا عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ وَمَالِهِ كَسَائِرِ الْفَرَائِضِ، وَلَكِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ جَعَلَتْ لِلنَّاسِ الرُّخْصَةَ فِي قِيَامِ بَعْضِهِمْ بِذَلِكَ عَنْ بَعْضٍ.[2]

وقال أَبُو الْقَاسِمِ هِبَةُ اللهِ بْنُ سَلاَمَةَ فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿إِلاَّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ﴾، وَقَوله تَعَالَى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾، نسختا جَمِيعًا بقوله تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾، الْآيَة.[3]

﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾.

يعني: هلا نفر من فرقة منهم طائفة أي سرية، ولا يخرجوا إلا بإذنه، فإذا رجعت السرايا ونزل بعدهم قرآنٌ تعلَّمه القاعدون من النبيِّ صلى الله عليه وسلم.

﴿وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾.

أي: ليعلموا الذين كانوا في الغزو قائلين: إن الله تعالى أنزل على نبيّكم بعدكم قرآنًا، وقد تعلَّمناه، فيمكثُ السرايا يتعلَّمون ما أَنزل الله تعالى على نبيِّهم بعدهم من القرآن والسنة، ويبعث سرية أخرى.

﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾.

لئلا يعملوا بخلاف ما أنزله الله تعالى.

---

١ - الناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام (ص: ٢٠٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٨١)، والطبراني في مسند الشاميين، حديث رقم: ٢٣٥٥

٢ - الناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام (ص: ٢٠٦)

٣ - الناسخ والمنسوخ للمقري (ص: ١٠٠)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ١٢٣

يقول الله تعالى مرشدًا ومعلمًا لرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾، جريا على سنن القرآن في التدريج في التشريع، ومراعاة الأوليات في فقه الجهاد؛ أمر الله تعالى المؤمنين بقتال الأقربِ منهم دارًا فالأقرب.

عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قول الله عز وجل: قاتلوا الذين يلونكم من الكفار قال: كان الذين يلونه من الكفار: العرب فقاتلهم حتى فرغ منهم.[١]

ولما كان القتال قد شرع لتأمين الدعوة إلى الإسلام وحرية الدين، والدفاع عن أهله، وقد كانت الدعوة إلى الأقرب فالأقرب من الكفار كما قال تعالى لرسوله: ﴿لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى: ٧]، فكان قتال الأقرب من الكفار أولى من قتال الأبعد منهم، لتأمين الدعوة إلى الله تعالى، وتخلية الناس وما يريدون اعتقاده، وإزالة سلطان أولئك الطغاة الذين يحولون بين الناس وبين الإيمان بالله تعالى.

﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾.

أي: وليجد الكفار منكم غلظة عليهم في قتالكم لهم، ولا يجوز لكم أن تشفقوا عليهم في قتالهم وهم يصدون عن سبيل الله تعالى، ويسبون ربكم تبارك وتعالى، ويكذبون رسولكم صلى الله عليه وسلم.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.

تذييل لتحذير المؤمنين من البغي والعدوان في القتال، ولبيان أن الأمر بالغلظة علة المشركين في القتال لا يعني التعرض لمن ليس من أهل القتال كالنساء والأطفال والرهبان في الصوامع والأديرة؛ فعَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى

١ - رواه الطبري في تفسيره- حديث رقم: ١٧٤٨٧، وابن أبي حاتم- حديث رقم: ١٠١٣٩

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اللهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ، فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا».[1]

والمعنى: واعلموا أن الله معكم إن امتثلتم أمره واتقيتموه.

فانظر إلى تلك التعاليم الربانية التي تحذر من الغدر والبغي والعدوان على النساء والأطفال، وانظر إلى ما يفعله الصهاينة المجرمون الذين لا يراعون عهدًا، ولا ذمة، ولا يرحمون صغيرًا لصغره، ولا امرأة ولا شيخًا كبيرًا، حتى تجردوا من كل مشاعر الإنسانية، وأشبهوا البهائم العجماوات التي تجردت من كل مشاعر، اللهم عليك باليهود ومن عاونهم، احصهم عددا واقتلهم بددا ولا تغادر منهم أحدًا.

١ - رواه مسلم- كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ تَأْمِيرِ الْإِمَامِ الْأُمَرَاءَ عَلَى الْبُعُوثِ وَوَصِيَّتِهِ إِيَّاهُمْ بِآدَابِ الْغَزْوِ وَغَيْرِهَا، حديث رقم: ١٧٣١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ١٢٤، ١٢٥

يقول الله تعالى مبينًا حال فريق من المنافقين الذين كانوا يسخروا ويستهزئون بكلام الله تعالى إذا ما أنزلت سورة من سور القرآن منهم من يقول لإخوانه المنافقين على سبيل الهزء والاستخفاف بالقرآن عند نزول السورة: أيُّكم زادته هذه السورة تصديقًا؟ يريدون أنهم ما ازدادوا بهذه إيمانًا ولا تصديقًا.

والعلة في أنهم لم يزدادوا بها إيمانًا أن الله تعالى ختم على قلوبهم وعلى سمعهم وجعل على قلوبهم غشاوة، فلم ينفذ من أنوار تلك السورة إلى قلوبهم شيء كما أخبر الله تعالى عنهم؛ قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قالَ آنِفاً أُولئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْواءَهُمْ﴾ [محمد: ١٦]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا....﴾.[1]

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾.

يقول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾، وهذه الآية دليل على أن الإيمان يزيد وينقص، كما هو مذهب السلف والخلف.

﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾؛ أي: وهم يفرحون بما نزل الله تعالى فيها حتى يتبيَّنُ ذلك في وجوههم وأبشارهم.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾.

وأما المنافقون الذين في قلوبهم مرض الشبهات، ومرض الشهوات فزادتهم تلك السورة التي نزلت شرًا إلى شرهم، وضلالةً إلى ضلالتهم؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ

١ - سورة الأنعام: الآية/ ٢٥

وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَاّ خَساراً﴾ [الإسراء: ٨٢]، وكما قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾.[1]

﴿وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾.

هذا إخبار من الله تعالى عن حال أولئك المنافقين أن مرض النفاق استحكم عليهم وأصروا عليه حتى ماتوا على الكفر، نسأل الله العافية والسلامة.

١ - سورة فصلت: الآية/ ٤٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلا هُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦) وَإِذا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ هَلْ يَراكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ١٢٦، ١٢٧

يقول الله تعالى: أولا يرى هؤلاء المنافقون أن الله يختبرهم في كل عام مرة أو مرتين، ثم هم مع ذلك الابتلاء الذي يبتليهم الله به لا يتوبون من نفاقهم، ولا يرعوون عن كفرهم، ولا يزدجرون عن غيهم، ولا يتعظون بما يرونه من دلائل واضحات، وبراهين ساطعات، على انحرافهم وضلالهم.

وقرأ حمزة ويعقوب: ﴿أَوَلا تَرَوْنَ﴾، بتاء الخطاب لجماعة المؤمنين، تنبيها لهم على طمس بصائر المنافقين، فيكون في الكلام إلتفاتًا من الغيبة للخطاب.

وقوله تعالى: ﴿يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾، يحتمل أن يكون المراد: أنهم يفتنون في عامٍ مرة، وفي عام مرتين، ويحتمل أن يكون ذلك بحسب كل واحد منهم، فمنهم من يفتن في العام مرةً ومنهم من يفتن في العام مرتين.

والمراد أنهم يفتنون بهتك أستارهم، وكشف فضائحهم، إذا أساؤوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أو وقعوا في أعراض المؤمنين، أو تخلفوا عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى انكشف أمرهم للمؤمنين، ومع ذلك لم يتوبوا إلى الله تعالى، بل ظلوا سادرين في غيهم، مقيمين على نفاقهم وكفرهم.

﴿وَإِذا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ هَلْ يَراكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا﴾.

تكرر الكلام عن حال المنافقين عند نزول سورة من القرآن والعلة في ذلك أن الآية السابقة كانت لبيان حال المنافقين إذا بلغهم نزول سورة من القرآن وكانوا بمنأى عن أنظار المؤمنين فيصرحون بالسخرية والاستهزاء، ويجهرون بالطعن في القرآن.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهذه الآية لبيان حالهم إذا كانوا في مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم عند نزول سورة، فينظر بعضهم إلى بعض ويتغامزون فيما بينهم بما معناه هل يراكم من أحدٍ لينسلوا من المجلس كراهية لسماع القرآن ثم ينصرفون.

﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾.

لما انصرفوا من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم كراهية سماع القرآن، عاقبهم الله تعالى بجنس فعلهم والجزاء من جنس العمل، فصرف الله تعالى قلوبهم عن الإيمان؛ كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾.[1]

﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ﴾.

بيان للعة التي من أجلها صرف الله تعالى قلوبهم عن الإيمان؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾.[2]

١ - سورة الصف: الآية/ ٥

٢ - سورة الأنفال: الآية/ ٢٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٢٨) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾. سورة التوبة: الآية/ ١٢٨، ١٢٩

مناسبة الآيتين لما قبلهما:

لما اتسمت هذه السورة بالشدة في الأحكام على أهل الإيمان، والتغليظ على المنافقين والمناوئين لأهل الإسلام بيَّن الله تعالى أنه امتن على هذه الأمة ببعثة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، وأن من صفاته الجليلة الحرص على المؤمنين، والرأفة والرحمة بهم وبسائر الخلق، ولا منافاة بين مشقة التكاليف الشرعية وبين اتصافه بالرحمة؛ لأن بالتكاليف الشرعية قوام الدين، وردع المناوئين المخالفين.

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾.

يقول الله تعالى ممتنا على تلك الأمة الإسلامية لقد جاءكم رسول من أنفسكم، أي: من العرب من بني إسماعيل ليفهموا منه مراد الله تعالى، وهي منة عظيمة، ونعمة جليلة؛ كما قال إبراهيم، عليه السلام: ﴿ربنا وابعث فيهم رسولا منهم﴾ [البقرة: ١٢٩]، وكما قال الله تعالى: وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾.[١]

قال جعفر بن أبي طالب للنجاشي، وقال المغيرة بن شعبة لرسول كسرى: "إن الله بعث فينا رسولًا منا، نعرف نسبه وصفته، ومدخله ومخرجه، وصدقه وأمانته.....".

١ - سورة آلِ عِمْرَانَ: الآية/ ١٦٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾.

أي: يعز عليه الشيء عنتكم وما يشق عليكم، وأصل العنت: الشدة؛ ومن ذلك ما ثبت عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا، مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرَّمْ، فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ».[1]

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾.

أي: حريص على إيصال النفع لكم وهدايتكم، ونجاتكم يوم القيامة، ودلائل حرصه على الأمة أكثر من أن يحصيها العد، أو يأتي عليها الحصر.

﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

الرأفة: أشدُّ الرحمة، والرحمةُ أعمُّ من الرأفة، قال ابن عباس: سماه الله باسمين من أسمائه.

وتقديم الجار والمجرور للتخصيص، فهذه الرأفة والرحمة خاصة بالمؤمنين، مع رحمته العامة بالخلق؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾.[2]

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾.

أي: فإن أعرضوا عنك ولم يؤمنوا بك، فقل: ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾، أي: يكفيني الله أن الذي لا إلهَ إلا هو ناصرًا ومؤيدًا ومعينًا، عليه اعتمادي، وله وحده أفوض أمري.

---

١ - رواه البخاري-كِتَابُ الِاعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنْ كَثْرَةِ السُّؤَالِ وَتَكَلُّفِ مَا لَا يَعْنِيهِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾، حديث رقم: ٧٢٨٩، ومسلم- كِتَابُ الْفَضَائِلِ، بَابُ تَوْقِيرِهِ صلى الله عليه وسلم وَتَرْكِ إِكْثَارِ سُؤَالِهِ عَمَّا لَا ضَرُورَةَ إِلَيْهِ أَوْ لَا يَتَعَلَّقُ بِهِ تَكْلِيفٌ وَمَا لَا يَقَعُ وَنَحْوِ ذَلِكَ، حديث رقم: ٢٣٥٨

٢ - سورة الأنبياء: الآية/ ١٠٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾.

أي: وهو سبحانه رب العرش العظيم، وخص العرش بالذكر لأنه أعظم المخلوقات فيدخل في الكلام ما دونه بالضرورة.

آخِرُ سورة التوبة ولله الحمد والمنة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تفسِيرُ سُورَةِ يُونُسَ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (١) أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾.

سورة التوبة: الآية/ ١٢٨، ١٢٩

سُورَةُ يُونُسَ مكيةٌ، وآياتها مائة وتسع آيات.

مقاصد السّورة إجمالاً:

سورة يونس شأنها شأن السور المكية نزلت ترسي قواعد العقيدة، وتدحض شبهات المشركين وترد افترائهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى كلام الله تعالى القرآن الكريم، وتلفت أنظار المشركين إلى الآيات الكونية الشمس والقمر والليل والنهار، وبيان حالهم عند سماع كلام الله تعالى، وتذكرهم بسنة الله تعالى في المكذبين لرسل الله، المعرضين عن عبادته، المناوئين لشرعه، وتكشف لهم حجب الغيب عن مصارع الغابرين، ومنهم قوم نوح الذين كذبوا رسولهم فأغرقهم الله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾، وبعث بعدهم موسى وهارون إلى فرعون وملائه بالآيات البينات فاستكبروا على أمر الله تعالى، وآثروا الكفر على الإيمان واتبعوا أمر فرعون فأغرقهم الله تعالى في اليم، ونجى الله تعالى فرعون ببدنه ليكون آية لمن بعده، وعبرة لكل متكبر جبار، ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾، ثم ذكر الله تعالى قوم يونس عليه السلام، وأنه تعالى تداركهم برحمته لما أقبلوا بعد إدبارهم، وآمنوا بعد كفرهم فنجاهم الله تعالى من العذاب ومتعهم في الحياة الدنيا: ﴿فَلَوْلا كانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إِيمانُها إِلاّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنا عَنْهُمْ عَذابَ الْخِزْيِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَمَتَّعْناهُمْ إِلى حِينٍ﴾.

ثم أخبر الله تعالى أن الهداية بيد الله تعالى وحده: ﴿وَما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلاّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، ولو شاء الله تعالى لجمع الناس جميعًا على الهدى: ﴿وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً﴾.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثم رد عجز السورة على صدرها ببيان كمال ربوبيته، وأن من كمال ربوبيته تعالى أنه إذا أراد بعبد ضرًّا فلا كاشف له إلا هو، وإذا أراد بعبد خيرًا فلا راد لفضله تعالى.

ثم ختم الله تعالى السورة بأمره تعالى لرسوله ومصطفاه محمد صلى الله عليه وسلم أن ينادي في الناس جميعًا بإعلان عام تقوم عليهم جميعًا به الحجة، أنهم قد جاءهم الحق من ربهم فمن قبل هدى الله فإنما يعود نفع ذلك على نفسه، ومن لم يقبل هدى الله الذي أرسل به فإنما مغبة ضلاله على نفسه: ﴿قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدى فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها﴾.

قوله تَعَالَى: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾.

﴿الر﴾، تقدم الكلام عن الحروف المقطعة في أوائل السور في أوائل سورة البقرة.

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾.

تلك: إشارة إلى آيات القرآن، والمعنى: هذه آيات الكتاب الحكيم.

والكتاب هو القرآن، ومن أسمائه: (الكتاب)، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ [فصلت: ٤١]، والألف واللام فيه للعهد.

ووصف بالحكيم ﴿الْحَكِيمِ﴾؛ لأن آياته تنطق بالحكمة؛ ولأنه محكم لا يتطرق إليه الشك، ولا يأتيه الباطل؛ كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾. [آل عمران: ٧]؛ وكما قال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾.[1]

وهو كتاب حكيم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لأنه تنزيل من حكيم حميد؛ كما قال تعالى: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.[2]

١ - سورة هود: الآية/ ١

٢ - سورة فصلت: الآية/ ٤٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾.

العجب: حالة تعتري الإنسان من رؤية شيء على خلاف العادة، والمراد بالناس هنا المشركون، فهو من العام الذي يراد به الخصوص.

يقول الله تعالى: أكان أمرًا عجيبًا لمشركي قريش أننا أوحينا إلى رجل منهم وبعثناه إليهم رسولًا يأمرهم بتوحيد الله تعالى، وينهاهم عن الشرك بالله تعالى، والاستفهام هنا استفهام إنكاري؛ لأن تلك سنة الله تعالى في خلقه؛ كما قال تعالى: ﴿وَما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ إِلاّ رِجالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧]؛ وكما قال تعالى على لسان هُود وصالِح عليهما السلام لقومهما: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ﴾.[1]

وتعجب مشركي قريش من إرسال رسول من البشر مما يدل على سفاهة عقولهم، وقلة علمهم؛ فإن إرسال الرسل من البشر أقرب إلى أن يسكنوا إليهم وأن يعقلوا عنهم؛ كما قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنزلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولا﴾.[2]

﴿أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.

(أَنْ): مفسرة؛ أي: أوحينا إليه أن أنذر الناس عذاب الله تعالى وسخطه إن هم كفروا بالله تعالى وأشركوا به، ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: أَنَّ لهم أعمالًا صالحةً عند الله يستوجبون بها منه الثواب عليها.

قال ابن عباسٍ: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يَقُولُ: أَجْرًا حَسَنًا، بِمَا قَدَّمُوا.

وقال مجاهدٌ: الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ صَلَاتُهُمْ وَصَوْمُهُمْ وَصَدَقَتُهُمْ وَتَسْبِيحُهُمْ.

---

١ - سورة الأعراف: الآية/ ٦٣، والآية/ ٦٩

٢ - سورة الإسراء: الآية/ ٩٥

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾.

قالوا عن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾، تنفيرًا للناس عنه وعن دينه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾. سورة يونس: الآية/ ٣

لما أنكر الله تعالى على المشركين تعجبهم من إرسال الرسل من البشر، لينذروا الناس عذاب الله تعالى إذا كفروا بالله تعالى، ويبشروا الذين آمنوا برضوان الله تعالى والجنة، ذكر الله تعالى من كمال قدرته ودلائل ربوبيته، ما يستدل به العباد على وحدانيته، وألوهيته تعالى.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾.

ذكر الربوبية هنا لبيان أن إرسال الرسل، وإنزال الكتب من مقتضيات الربوبية، فإنه تعالى الذي يتعهد عباده بالنعم وأجل هذه النعم نعمة الهداية ولا تتحقق إلا بإنزال الكتب وإرسال الرسل الذي تعجب منه المشركون، ونسبهم الله تعالى إليه نسبة الخلق والإيجاد، وفيه تذكير لهم بما أنعم عليهم من النعم التي لا تعد ولا تحصى.

ومن دلائل قدرته تعالى أنه هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وما مسه شيء من التعب؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَما مَسَّنا مِنْ لُغُوبٍ﴾.[1]

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْداداً ذلِكَ رَبُّ الْعالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيها رَواسِيَ مِنْ فَوْقِها وَبارَكَ فِيها وَقَدَّرَ فِيها أَقْواتَها فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَواءً لِلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَهِيَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَلِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ (١١) فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها.....﴾.[2]

١ - سورة ق: الآية/ ٣٨

٢ - سورة فصلت: الآيات/ ٩- ١٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾.

ثم استوى على العرش استواءً يليق بذاته تعالى، كما أخبر عن نفسه في سبع آيات من كتابه؛ كما قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، نؤمن بذلك بلا تكييف ولا تحريف ولا تعطيل ولا تأويل.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ».[١]

﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾.

التدبير: هو النظر في عواقب الأمور لإيقاعها تامة محمودة العاقبة، وتدبير الله تعالى الأمور هو تمام العلم بها وتقديرها على وفق مشيئته.

﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَاّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ﴾.

أي: لا يشفع عنده أحد من خلق إلا من بعد إذنه تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلا بِإِذْنِهِ﴾ [الْبَقَرَة: ٢٥٥]؛ وكما قال تعالى: ﴿وَلا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾.[٢]

﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾.

أي: من هذه صفاته هو ربكم فأفردوه تعالى بالعبادة وحده ولا تشركوا به شيئًا.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

أي: أفلا تتَّعظون بما يعظِكُم اللَّهُ به مِن الإيمانِ به وتركِ الشِّرك.

---

١ - رواه البخاري-كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾، حديث رقم: ٧٤٢٣

٢ - سورة سَبَأٍ: الآية/ ٢٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾. سورة يونس: الآية/ ٤

يقول الله تعالى مخاطبًا الناس جميعًا مؤمنهم وكافرهم: إلى ربكم الذي خلقكم وخلق كل شيء، وبيده مقاليد كل شيء، وهو على كل شيء قدير، ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً﴾، أي: إليه معادكم جميعًا أيها الناس يوم القيامة.

﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا﴾.

في الكلام إيجاز بالحذف تقديره: وعد الله وعدًا حقًا، وانتصب (حقًّا) على أنه مفعول مطلق مؤكد لمضمون الجملة، ولما كان قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً﴾، خبر يتضمن الوعد للمؤمنين، والوعيد للكافرين المكذبين، ليجازي المؤمن الطائع على طاعته، والكافر العاصي على كفر وعصيانه صرح بالوعد ووصفه بكونه (حقًّا) تأكيدًا لذلك.

﴿إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾.

أي: يحيي الخلق ابتداءً ثم يميتهم ثم يحييهم؛ كما قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾.[1]

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: بالعدل.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾.

أي: والذين كفروا بالله تعالى لهم جزاءً على كفرهم شرابٌ حارٌ انتهى حره، ولهم عذاب مؤلم جزاءً لهم على كفرهم بالله تعالى.

١ - سورة الأنبياء: الآية/ ١٠٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذلِكَ إِلَاّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾. سورة يونس: الآية/ ٥

يقول الله تعالى مبينًا للخلق دلائل قدرته، وبراهين وحدانيته تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً وَالْقَمَرَ نُوراً﴾ أي: هو وحده تبارك وتعالى الذي جعل الشمس ذات ضياءٍ، وَجعل الْقَمَرَ ذا نورٍ، والضِّياءُ والنُّورُ مصدران جُعِلا نعتَيْن للشمس والقمر، وتقديم الضمير للتخصيص، والفرق بين الضياء والنور أن الضِّياء نورٌ معه حرارة، والنُّورُ لا حرارة معه، والضِّياءُ أعمُّ وأتمُّ مِن النُّور.

﴿وَقَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسابَ﴾.

وقدر الله تعالى القمر منازل، فيبدأ هلالا، ثم يتزايد نوره وجرمه، حتى يكتمل فيصير بدرًا، ثم يشرع في النقص حتى يرجع هلالًا في تمام شهر؛ كما قال تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.[1]

وقيل: المعنى: وقدَّرهما منازلَ؛ أي: الشَّمس والقمر، وإنَّما وحَّد اكتفاءً، كما في قولِه عز وجل: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤]؛ فبالشمس تعرفُ الأيامُ، وبسيرِ القمرِ تعرفُ الشهورُ والأعوامُ، والمراد بالحساب: الآجالُ والمواقيتُ المقدَّرة بالشُّهور والسِّنين.

﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذلِكَ إِلَاّ بِالْحَقِّ﴾.

أي: ما خلق الله ذلك الخلق وقدره ذلك التقدير عبثًا باطلًا؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾.[2]

١ - سورة يس: الآية/ ٣٩، ٤٠

٢ - سورة ص: الآية/ ٢٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

يبيّن الله تعالى البراهين التي يُستدلُّ بها على وحدانيته تعالى، وخصَّ الله تعالى الذين يعلمون بالذكر لأنَّهم هم الذين ينتفِعونَ بها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَما خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ (٦) إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا وَرَضُوا بِالْحَياةِ الدُّنْيا وَاطْمَأَنُّوا بِها وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آياتِنا غافِلُونَ (٧) أُولئِكَ مَأْواهُمُ النَّارُ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ (٨) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾. سورة يونس: الآية/ ٦- ٩

يقول الله تعالى مبينًا مرشدًا لعباده ومبينًا دلائل ربوبيته، وآيات وحدانيته: إن في تعاقب الليل والنهار، بهذا التقدير المحكم، والنظام المتقن الذي لا يختل ولا ينخرم، وما خلق الله في السماوات والأرض من الخلائق التي لا يحصيها العد ولا يأتي عليها الحصر، مع ما فيها من بديع صنع الله تعالى، وتفاوت أجرامها، فمنها الكبير الذي لا يحيط به إلا الله تعالى ومنها الصغير الذي تناهى في الصغر هي لا يرى بالعين المجرد، وتفاوت خصائصها، مما تحار فيه العقول، وتدهش لبديع صنعه الألباب، لدلائل واضحة، وبراهين ساطعة للذين يتقون الله تعالى، ويرجوه لقاءه، أما أولئك الضالون المكذبون فإنهم معرضون عن آيات الله الكونية؛ كإعراضهم عن آياته الشرعية؛ قال الله تعالى: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ] وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْها وَهُمْ عَنْها مُعْرِضُونَ﴾.[١]

﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا وَرَضُوا بِالْحَياةِ الدُّنْيا وَاطْمَأَنُّوا بِها وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آياتِنا غافِلُونَ﴾.

لما أرشد الله تعالى عباده إلى آياته الكونية الدالة على وحدانيته، أخبر تعالى هنا عن صنف من الناس لم ينتفعوا بتلك الآيات الباهرة، وأعرضوا عنها وغفلوا عما تدل عليه من ربوبية الله وقدرته الباهرة، ووحدانيته الظاهرة لكل ذي عينين، ولم يؤمنوا بالآخرة وما فيها من الحساب، ولم يخطر ببالهم العرض على الله تعالى، ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها وركنوا إليها، فجعلوها أكبر همهم ومبلغ علمهم.

١ - سورة يوسف: الآية/ ١٠٥

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

(أولئك) إشارة إلى من هذه صفاتهم وهذا حالهم، مصيرهم النار جزاء بما كانوا يعتقدونه من الكفر، وبما كانوا يقترفونه من الآثام، حتى عدوا معاقرة تلك الخطايا والآثام كسبًا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾.

ولما ذكر الله تعالى حال أهل الغفلة والضلال، ذكر حال أهل السعادة الذي آمنوا بالله تعالى وامتثلوا أمره وأطاعوا رسله، وأخبر تعالى بما مَنَّ الله تعالى عليهم من التوفيق للهداية بسبب إيمانهم، وقال تعالى: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾، أي: يهديهم ربهم بسبب إيمانهم.

وقال تعالى: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ﴾، ولم يقل يهديهم الله؛ لبيان أن الهداية من مقتضيات الربوبية، ونسبهم إليه ﴿رَبُّهُمْ﴾، نسبة تشريف.

المرادُ بالإيمان الذي جعل سببًا لتلك الهداية هو الإيمانُ المشفوعُ بالأعمال الصالحةِ لا الإيمانُ المجردُ عنها؛ فإن الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان.

﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾.

أي: تجري الأنهار من تحت قصورهم وحدائقهم في جنات النعيم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. سورة يونس: الآية/ ١٠

ومن حال المؤمنين في الجنة أنهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس، فيجري التسبيح على ألسنتهم مع كل دعاء وثناء على الله تعالى بهذه الكلمة: ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾؛ أي: تنزيهًا وتقديسًا لك يا الله؛ فعَنْ جَابِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتْفُلُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ. قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ قَالَ: جُشَاءٌ، وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفَسَ».[١]

﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ﴾.

أي: وتحيتهم في الجنة فيما بينهم سلام؛ كما قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤]، قال قَتَادة، فِي قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤]، قَالَ: «تَحِيَّةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ السَّلَامُ».[٢]

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لعُمَير بنُ وَهبٍ الجُمَحِي: «قَدْ أَكْرَمَنَا اللهُ بِتَحِيَّةٍ خَيْرٍ مِنْ تَحِيَّتِكَ يَا عُمَيْرُ، السَّلَامُ تَحِيَّةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ».[٣]

وتحية الملائكة لهم في الجنة السلام؛ كما قال تعالى: ﴿وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾.[٤]

---

١ - رواه مسلم- كِتَابُ الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، بَابٌ فِي صِفَاتِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِهَا وَتَسْبِيحِهِمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا، حديث رقم: ٢٨٣٥

٢ - رواه عبد الرزاق في تفسيره- سُورَةُ الْأَحْزَابِ، حديث رقم: ٢٣٥٦

٣ - رواه الطبراني في الكبير- حديث رقم: ١١٨

٤ - سورة الرعد: الآية/ ٢٤

﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

أي: يفتحون دعاءهم بالتسبيح، ويختمونه بالحمد لله رب العلمين.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾. سورة يونس: الآية/ ١١

مناسبة الآية لما قبلها:

لما توعد الله تعالى الكفار الذين لا يرجون لقاء الله تعالى، ولا يخشون عقابه بالعذاب في النار، بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا وَرَضُوا بِالْحَياةِ الدُّنْيا وَاطْمَأَنُّوا بِها وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آياتِنا غافِلُونَ (٧) أُولئِكَ مَأْواهُمُ النَّارُ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾. [يونس: الآية/ ٧، ٨]، ازداد الكفار كفرًا وطغيانًا، وإمعانًا في التكذيب قالوا: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]، فأخبر الله تعالى أنه لا يعجل بعجلة العباد.

سبب نزول الآية:

قال مجاهد نزلت في دعاء الرجل على نفسه أو ماله أو ولده ونحو هذا.

وقال الواحدي: نزلت في النَّضر بن الحارث حين قال: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ...﴾.[1]

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾.

يقول الله تعالى: ولو استجاب الله تعالى للناس دعائهم في الشر وفيما يعود عليهم بالمضرة في أنفسهم أو أموالهم، كما يستجيب لهم إذا دعوه بالخير وبما يعود عليهم بالنفع لهلكوا لاستعجالهم الموت.

وبطلق القضاء في القرآن على اثني عشر وجها:

الأول: الأمر، قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾؛ أي: أمر أن نعبد الله وحده.

والثاني: بمعنى العلم، قال الله: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ﴾؛ أي: أعلمناه.

١ - الوجيز للواحدي (ص: ٤٩١)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الثالث: الإتمام والفراغ، قال الله: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ﴾؛ أي: أتممتموها وفرغتم منها، وهذا هو المراد في هذه الآية: ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾؛ والأجل هنا الموت؛ أي: لفرغ من هلاكهم وماتوا جميعًا.

الرابع: بمعنى الفعل، قال الله: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾؛ أي: افعل ما أنت فاعل.

الخامس: بمعنى الإرادة، قال الله: ﴿فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾؛ أي: إذا أراد أمرًا.

السادس: بمعنى الموت، قال: ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾؛ أي: ليمتنا.

السابع: بمعنى الوجوب، قال الله: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾؛ أي: وجب العذاب.

الثامن: الكتاب، قال الله: ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾؛ أي: مكتوبًا في اللوح المحفوظ.

التاسع: قضى بمعنى أتم، قال: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ﴾؛ أي: أتم الشرط المشروط إلى الأجل.

العاشر: قضى بمعنى فصل، قال الله: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ﴾؛ أي: فصل بينهم بالحق.

الحادي عشر: قضى بمعنى خلق، قال الله: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾؛ أي: فخلقهن.

الثاني عشر: قضى بمعنى حكم، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾؛ أي: يحكم بالحق.[1]

﴿فَنَذَرُ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

والعَمَهُ: عدم البصر؛ أي: فنترك الكفار الذين لا يؤمنون بالبعث والنشور، ولا يرجون ثوابًا في الآخرة فيما هم فيه من طغيان في الكفر والضلال، متحيرين لا يهتدون سبيلا للخروج منه؛ كالأعمى الذي ضل طريقه.

١ - الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري (ص: ٣٩٣- ٣٩٥) بتصرف.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذا مَسَّ الْإِنْسانَ الضُّرُّ دَعانا لِجَنْبِهِ أَوْ قاعِداً أَوْ قائِماً فَلَمَّا كَشَفْنا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنا إِلى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كانُوا يَعْمَلُونَ﴾. سورة يونس: الآية/ ١٢

مناسبة الآية لما قبلها:

لما بين الله تعالى سفاهة عقول الكفار الذين لا يرجون لقاء الله تعالى، ولا يخشون عقابه، باستعجالهم الشر والعذاب، بين الله تعالى في هذه الآية حالهم عندما يمسهم الضر وعندما يكشف الله تعالى الضر عنهم.

﴿وَإِذا مَسَّ الْإِنْسانَ الضُّرُّ دَعانا لِجَنْبِهِ أَوْ قاعِداً أَوْ قائِماً﴾.

يقول الله تعالى: وإذا أصاب الإنسان المكروه والشدة، ﴿دَعانا لِجَنْبِهِ أَوْ قاعِداً أَوْ قائِماً﴾. أي: دعا ربه مستغيثًا به في كشف ذلك المكروه عنه في كل أحواله، فهو مجتهد في الدعاء سواء كان على جنبه، أو كان قاعدًا أو كان قائمًا.

والإنسان هنا عام يراد به الخصوص؛ أي: الكفار؛ ودل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُورًا﴾.[١]

وكما قال تعالى: ﴿وَإِذا مَسَّ الْإِنْسانَ ضُرٌّ دَعا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ ما كانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْداداً لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحابِ النَّارِ﴾.[٢]

وكما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾.[٣]

١ - سورة الأسراء: الآية/ ٦٧

٢ - سورة الزمر: الآية/ ٨

٣ - سورة فُصِّلت: الآية/ ٥١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَلَمَّا كَشَفْنا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنا إِلى ضُرٍّ مَسَّهُ﴾.

يقول تعالى: فلما أزلنا عنه ما أصابه من المكروه، أعرض ونأى بجانبه وعاد إلى طريقته الأولى قبل أن يصيبه ما أصابه من الضر، ونسي ما كان عليه من شدة الاجتهاد في الدعاء والاستغاثة.

﴿كَذلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

أي: مثل ذلك الإعراض عن دعاء الله تعالى عند كشف الضر وعدم شكره على رفع البلاء، زيين للمسرفين وهم الكفار أعمالهم من الكفر والمعاصي، ووصفوا بكونهم مسرفين لإسرافهم على أنفسهم في الشهوة البهيمية.

وزُيِّنَ بالبناء للمفعول لاحتمال أن يكون من الله تعالى مكرًا بهم، ويجوز أن يكون من الشيطان إضلالًا لهم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ وَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (١٣) ثُمَّ جَعَلْناكُمْ خَلائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾. سورة يونس: الآية/ ١٣، ١٤

مناسبة الآية لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى في الآيات السابقة شيئًا من الآيات الكونية التي هي من دلائل قدرته، وذكر بعدها استعجال الكفار عذاب الله تعالى، ذكر تعالى هنا أن من دلائل قدرته تعالى إهلاك القرون السابقة، واستخلاف الْمُخَاطَبِين من بعدهم تعريضًا بهم أن يصيبهم ما أصاب المكذبين لرسله.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾.

يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾؛ أي: والله لقد أهلكنا القرون من قبلكم، واللام هنا هي لام القسم، والقرون: جمع قرن وهي المدة الطويلة من الزمن، والمراد هنا أهل القرون.

وبين الله تعالى أن سبب إهلاك الأمم السابقة إنما هو الظلم، وللظلم صور شتى أظهرها الشرك بالله تعالى، وهو أعظم أسباب الهلاك؛ كما قال تعالى على لسان العبد الصالح لقمان: ﴿يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.[1]

ومن الظلم تسلط الملأ الأقوياء على الضعفاء؛ فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ».[2]

١ - سورة لقمان: الآية/ ١٣

٢ - رواه البخاري- كتاب فضائل الصحابة، بَابُ ذِكْرِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، حديث رقم: ٣٧٣٣، ومسلم- كِتَابُ الْحُدُودِ، بَابُ قَطْعِ السَّارِقِ الشَّرِيفِ وَغَيْرِهِ وَالنَّهْيِ عَنِ الشَّفَاعَةِ فِي الْحُدُودِ، حديث رقم: ١٦٨٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن الظلم الذي يسبب الهلاك مجاهرة المترفين بالفسق والفجور؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾.[1]

﴿وَجاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ﴾.

أي: وجاءتهم رسلهم بالآيات البينات، والدلائل القاطعات الدالة على صدقهم فيما جاءوهم به.

﴿وَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾.

أي: وما كان من شأن هؤلاء الغابرين، الذين ألفوا الضلال، مرنوا على الكفر أن يؤمنوا؛ لما انطوت عليه قلوبهم من الكبر، ولما درجوا عليه من العناد والإباء.

﴿كَذلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾.

تذييل فيه تعريض بمشركي قريش، والمعنى: كما أهلكنا القرون الغابرة نهلك من سلك سبيلهم، وسار على دربهم، وفعل فعلهم.

﴿ثُمَّ جَعَلْناكُمْ خَلائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾.

الخلائف: جمع خليفة؛ أي: ثم جعلناكم تخلفونهم قرنا بعد قرن، ﴿لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: لنعلم علما متعلقًا بأعمالكم نجازيكم به، فإن الله تعالى لا يخفى عليه شيء فالأرض ولا في السماء.

---

١ - سورة الإسراء: الآية/ ١٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ قالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَاّ مَا يُوحى إِلَيَّ إِنِّي أَخافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾. سورة يونس: الآية/ ١٥، ١٦

ثم أخبر الله تعالى عن حال المشركين الذين لا يؤمنون بالبعث والنشور، أنهم إذا تتلى عليهم آيات الله الواضحات الدلالة، يقوله هؤلاء المكذبون الذين لا يخافون العقاب الأخروي، ولا يرجون الثواب من الله تعالى يقولون: ﴿ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾، لأن القرآن خاطبهم بوصهم عبيد لله تعالى، وهم قد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوًا كبيرًا، القرآن وصف آلهتهم بإنها لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر، فعدوا ذلك انتقاصًا منها، وعيبًا لها، القرآن أمرهم بالطاعة المطلقة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم، وهم يستنكفون عن ذلك، ويأبون الإذعان والتسليم لرسول بشري؛ كما قال الله تعالى حكاية عنهم؛﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلا أُنزلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ [سورة الفرقان: ٧]، كما قالت ثمود لنبيهم صالح عليه السلام: ﴿أَبَشَراً مِنَّا واحِداً نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذاً لَفِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ﴾ [القمر: ٢٤]، وكما قال فرعون وقومه عن موسى وهارون عليهما السلام: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنا وَقَوْمُهُما لَنا عابِدُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٧]، وكما قالت كل أمة لرسولها.

فقالوا: ائت بقرآنٍ غيرِ هذا ليس فيه عيب آلهتنا، ولا يخاطبنا خطاب العبيد ونحن السادة والملأ، ولا يأمرنا بطاعة بشر مثلنا.

﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِي﴾.

أي: قل لهم يا محمد: ما ينبغي لي أن أبدل كلام الله من قبل نفسي، وإنما اكتفي بالجواب عن التبديل لأنه إذا امتنع تبديله، كان امتناع الإتيان بقرآن آخر أولى.

﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَاّ مَا يُوحى إِلَيَّ﴾.

إنْ هنا نافية؛ أي: لا أتبع إلا ما يوحيه إِلَيَّ ربي، وإنما أنا عبد مأمور، ورسول مبلغ عن الله تعالى.

﴿إِنِّي أَخافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

أي: إني أخاف إن خالفت أمر الله تعالى فغيرت شيئًا من كلامه، فضلا عن تبديله، أو الاتيان بغيره، أو ترك العمل به. عذاب يوم عظيم يوم القيامة، توعد الله تعالى به من افترى على الله كذبًا.

﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُمْ بِهِ﴾.

أي: قل يا محمَّدُ صلى الله عليه وسلم لهؤلاء المكذبين: لو شاء اللَّه ما قرأتهُ عليكم ولا أعلمَكُمُ اللَّهُ به وذلك بعدم إنزاله.

﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾.

أي: فقد أقمت فيكم أربعين سنة قبل أن يُوحَى إِلَيَّ لا أتلو كتابًا ولا أخطه بيميني، ولا آتيكم بشيء ولا أحدثكم به، وقد بُعث إليهم النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآياتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾. سورة يونس: الآية/ ١٧

مناسبة الآية لما قبلها:

لما نسب المشركون القرآن لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وسألوه أن يأتيهم بقرآن غيره أو أن يبدله، بين لهم هنا أن الافتراء على الله تعالى ونسبة ما لم يقله إليه والتكذيب بآيات الله أعظم الذوب وأخطرها، ومن كان هذا شأنه لا يظفر ببغيته أبدًا.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآياتِهِ﴾.

استفهامٌ إنكاريٌّ معناه الجحدُ؛ أي: لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذبًا باختلاق كلام ونسبته لله تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾.[1]

ومثل من افترى على الله كذبًا في الإجرام، من كذب بآيات الله بعد بيانها، والمراد مشركوا مكة الذين لم يؤمنوا بالقرآن وسألوا تبديله.

﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾.

تذييل لبيان أن مَنْ افترى على الله كذبًا ومن كذب بآياته مجرم، ومَنْ هذا شأنه فلا ينجُو مِن محذورٍ ولا يظفَرْ بمطلوب.

١ - سورة الأنعام: الآية/ ٩٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِما لا يَعْلَمُ فِي السَّماواتِ وَلا فِي الْأَرْضِ سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. سورة يونس: الآية/ ١٨

يخبر الله تعالى: عن هؤلاء المشركين الوثنين الذين استنكفوا عن عبادة الله تعالى، أن هؤلاء المشركين أبوا أن يعبدوا الله تعالى الذين بيده النفع والضر، ويعبدون من دون الله الأصنامَ الَّتي لا تضرُّ مَن عصاها، ولا تنفعُ مَن أطاعَها في شيء على الإطلاق.

وقدم الضر على النفع هنا لأن العابد يعبد معبوده خوفًا من عقابه أولًا ثم طمعًا في ثوابه ثانيًا، فبدأ بنفي الضر لإزالة أوهام المشركين، الذين كانوا يخشون أن تصيبهم هذا الأصنام بالضر في أنفسهم وأولادهم وأموالهم.

﴿وَيَقُولُونَ هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللَّهِ﴾.

أي: ويقولون كذبًا وزورًا هؤلاء الأصنام شفعاؤنا عند الله في إصلاح معايشنا في الدنيا؛ لأنهم لا يُقِرُّون بالبعث والنشور.

﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِما لا يَعْلَمُ فِي السَّماواتِ وَلا فِي الْأَرْضِ﴾.

يقول الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: قل لهم يا محمد أتخبرون الله تعالى بما لا يعلمه؟ فإن الله تعالى لا يعلم أن له شريكًا من خلقه في السماوات ولا في الأرض، وكل ما ليس بمعلوم لله فهو عدم محض، ليس بشيء، والاستفهام هنا استفهام انكاري تهكمي.

﴿سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

أي: تقدس الله تعالى وتنزه عن أن يكون له شريك.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾. سورة يونس: الآية/ ١٩

مناسبة الآية لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى اعتقاد المشركين الوثنين الذين يعبدون من دون الله ما لا يملك لهم ضرًّا ولا نفعًا، وهو اعتقاد ظاهر البطلان، ذكر الله تعالى في هذه الآية منشأ هذا الاعتقاد، وسبب حدوثه.

﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾.

قول الله تعالى: وما كان النَّاس إلَّا أمَّة واحدة على ملَّة الإسلام إلى زمنَ نوح عليه السلام، ثم دب إليهم الشرك، فحادوا عن التوحيد وعبدوا غير الله تعالى؛ كما قال الله تعالى: كما قَالَ تَعَالَى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ [البقرة: ٢١٣]، أي: كان الناس أمة واحدة متفقين على دين الإسلام فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين؛ قال ابن عباس: كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾.

أي: ولولا ما سبق في قضاء الله تعالى بتأخير الحكم بين العباد إلى يوم القيامة؛ لأنه يوم الفصل والجزاء لقضي بينهم في الدنيا.

قال الحسنُ: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: في حكمِه أنَّه لا يقضي بينهم فيما اختلفوا فيه مِن الثَّواب والعِقاب دونَ القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾، في الدُّنيا.

﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

أي: بإهلاكِ المبطِلين المعاندين لأمر الله تعالى المكذبين رسله، وتخليصِ المؤمنين الموحدين.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾. سورة يونس: الآية/ ٢٠

يقول الله تعالى عن هؤلاء المشركين المعاندين ويقولون عنادًا وتبجحًا: ﴿لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾، تكون دليلًا على صدقه، وإنما أرادوا آية من الآيات التي كانوا يقترحونها، وكانوا لا يعتدّون بما أنزل عليه من الآيات العظام المتكاثرة التي لم ينزل على أحد من الأنبياء مثلها، وكفى بالقرآن وحده آيةً باقيةً على وجه الدهر، بديعةً غريبةً في الآيات، دقيقةً المسلكِ من بين المعجزات.[1]

وما سألوا نزول تلك الآية طلبًا للهدى ولا استرشادًا للحق، ولا استدلالًا على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم، إنما حملهم على ذلك فرط عنادهم، وانغماسهم في الضلال، وتماديهم في الغي، ومن كان هذا شأنه فلا تزيده الآيات إلا عنادًا وطغيانًا وكفرًا؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ [يُونُسَ: ٩٦، ٩٧]؛ لذلك قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾؛ أي: فقل لهم يا محمد ردًّا عليهم: ذلك الذي اقترحتموه من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تعالى.

﴿فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾.

أي: فانتظروا قضاء الله تعالى، إن كنتم لا تؤمنون إلا بنزول ما تقترحون من الآيات، إني معكم من المنتظرين لقضاء الله تعالى فينا، وفي الكلام تهديد ووعيد بما يحل بهم من العذاب إذا تمادوا في غيهم؛ فإن من سبقهم سألوا الآيات فكانت سبب هلاكهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَما مَنَعَنا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآياتِ إِلَاّ أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِها وَما نُرْسِلُ بِالْآياتِ إِلَاّ تَخْوِيفاً﴾.[2]

١ - تفسير الكشاف (٢/ ٣٣٧)

٢ - سورة الإسراء: الآية/ ٥٩

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آياتِنا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْراً إِنَّ رُسُلَنا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾. سورة يونس: الآية/ ٢١

لفظ ﴿النَّاسَ﴾، هنا عام يراد به الخصوص، وهم المشركون المكذبون لرسول الله صلى الله عليه وسلم. يخبر الله تعالى عن حال المشركين أنه إذا أذاقهم رحمة من بعد ضراء مستهم، كاليسر بعد العسر، والأمن بعد الخوف، والرخاء بعد الشدة، والخصب بعد الجدب، قابلوا آيات الله تعالى بالتكذيب، والطعن فيها، والاحتيال في دفعها، وما ذاك إلا لأنهم ألفوا الدعة، واعتادوا النعمة، فدعاهم ذلك إلى البطر، ونسوا ما كانوا فيه من الضر، وما كانوا عليه من الشدة، وبين النشأة في الدعة والبغي والتكذيب بآيات الله تعالى صلة وثيقة عند أمثال هؤلاء؛ كما قال الله تعالى: ﴿كَلَاّ إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغى (٦) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنى﴾ [العلق: ٦، ٧]، وكما قال تعالى: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾.[1]

﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْراً﴾.

أي: قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم: الله أسرع مقتًا وعقابًا وإهلاكًا لكم، مما حاولتم من إبطال آيات الله تعالى، ودفع الحق وتكذيبه.

﴿إِنَّ رُسُلَنا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾.

أي: إن الحفظة من الملائكة الموكلون بكتابة أعمالكم، يكتبون ما تقولون وما تفعلون من الصَّدِّ عن سبيل الله، والتَّكذيب بآيات الله، وهو تهديد ووعيد لهم بالعذاب.

١ - سورة المزمل: الآية/ ١١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾. سورة يونس: الآية/ ٢٢

مناسبة الآية لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى حال المشركين مع نعم الله تعالى عند الإعطاء والمنع، وأنهم لا يعرفون من النعم إلا البطر والكبر، والمكر بآيات الله بالجحود والنكران، والتكذيب والإعراض، بين تعالى هذا الحال هنا بمثال يدل عليه، وحال لا ينكره أحد منهم، وهو حال هؤلاء المشركين في البحر حين تعصف بهم الريح، ويلعب بهم الموج.

﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾.

يخبر الله تعالى ممتنا على الناس جميعًا مؤمنهم وكافرهم، أنه هو وحده الذي يحملكم بقدرته ويجعلكم تسيرون في البر والبحر، بتسخير دواب البر، وتسخير الفلك في البحر.

وقرأ أبو جعفر وابن عامر: ﴿هُوَ الَّذِي يَنشُرُكُمْ﴾، بالنون والشين من النشر بعد الطي، أي: يفرقكم ويبثكم، ومثال هذه القراءة قوله تعالى: ﴿فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾.[1]

﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾.

في الكلام إيجاز بالحذف تقديره: (هُوَ الَّذِي يسيركم فِي البرِّ وَالبحرِ فتسيرون حتى إذا كنتم.....).

والفلك أي: السُّفُنِ، واشتقاقها مِن فَلْكَةِ المِغْزَلِ، وفَلَكِ السَّماء، ومعناها: الدَّورانُ في الماءِ، والفلك تؤنث كما قال هنا: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾، وتُذَّكَرُ كما في قوله: ﴿فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ [الشعراء: ١١٩]، وتأتي بمعنى الواحد كما في قوله: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود: ٣٧]، وتأتي بمعنى الجمع كما في هذه الآية.

١ - سورة الجمعة: الآية/ ١٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقوله تعالى ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾، فيه التفاتٌ من الخطابِ للغيبةِ، والحكمة من الالتفات أن الخطاب في أوله عام للمؤمنين والكفار، يمتن الله تعالى عليهم بتسيرهم جميعًا في البر والبحر، ليشكر المؤمنون نعمة الله تعالى، ولعل الكافر أن يتعظ ويرجع عن غيه، فلما اضطرب حال الكفار بين الإيمان والكفر عند الشدة والرخاء، خصهم بالذكر دون المؤمنين، الذين لا يتغير حالهم عند الشدة عنه عند الرخاء.

قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾.

أي: حتى إذا كنتم في السُّفنِ وجرَتِ تلك السفنُ براكبيها بريحٍ ليّنةٍ يُستَطابُ هبوبُها، وينتفع بها أهل تلك السفن.

﴿وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾.

أي: وفرحوا بسرعة سيرهم بتلك الريح الطيبة مع الأمن، فبينما هم كذلك إذ جاءت تلك السفن ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾؛ أي: ريحٌ ذاتُ عصفٍ شديدةُ الهبوبِ مهلكَةٌ، ﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾؛ أي: وأحاط بهم الموج من كل جانب.

﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾.

أي: تيقنوا أنهم أهلكوا، وانسدت عليهم مسالك الخلاص، كمن أحاط به الأعداء من كل جانب.

﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾.

أي: دعوا الله وحده مخلصين له الدعاء من غير إشراك أصنامهم، لعلمهم أنها لا تكشف عنهم ضرًّا ولا تجلب لهم نفعًا، ولا تغني عنهم شيئًا.

﴿لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.

اللام في: (لَئِنْ) هي اللام الموطئة للقسم؛ أي: نقسم بك يا الله لئن سلمتنا من هذه الرّيح الشديدة والغرق والشدائد، لنكونن من الشاكرين لك على نعمائك، وهذا الذي صدر منهم إيمان اضطراري،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ينكشف عنهم بانكشاف الغمة، ويزول عنهم بزوال الكرب، والله يعلم كذبهم ومع ذلك ينجيهم بفضله وإحسانه؛ كما قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْها وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾.[1]

١ - سورة الأنعام: الآية/ ٦٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. سورة يونس: الآية/ ٢٣

يخبر الله تعالى عن حال هؤلاء الذين ظنوا أنهم أحيط بهم في البحر، وأيقنوا الهلاك فاجتهدوا في دعاء الله مخلصين له الدين، أنه تعالى استجاب لهم وكشف ما بهم من الضر وأنجاهم من الهلاك، وفي الكلام إيجاز بالحذف تقديره: (لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فأنجاهم الله)، ودل عليه ما بعده.

﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾.

أي: فلما أنجاهم الله إذا هم يظلمون في الأرض، ويسعون فيها بالفساد، ويتجاوزون إلى غير أمر الله تعالى، من البغي وهو مجاوزة الحد، وذلك بالشرك بالله تعالى والتعدي على حقوق العباد.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾.

أي: يا أيها الناس إنما وبال بغيكم عائد عليكم، وهي سنة لا تتخلف؛ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ، مِنَ الْبَغْيِ، وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ».[1]

وقال محمَّد بن كعب القرظيُّ: ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه كُنَّ عليه: البغيُ والنَّكثُ والمكر؛ قال اللَّهُ تعالى: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾، ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣]، ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾.[2]

وقيل: من سل سيف البغي قتل به.

﴿مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

---

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ٢٠٣٧٤، وأبو داود- كِتَاب الْأَدَبِ، بَابٌ فِي النَّهْيِ عَنِ الْبَغْيِ، حديث رقم: ٤٩٠٢، والترمذي- أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب، حديث رقم: ٢٥١١، وابن ماجه- كِتَابُ الزُّهْدِ، بَابُ الْبَغْيِ، حديث رقم: ٤٢١١، بسند صحيح

٢ - سورة الفتح: الآية/ ١٠

أي: إنما لكم متاع في الحياة الدنيا الدنيئة الحقيرة ثم إلينا مصيركم ومآلكم، فنخبركم بجميع أعمالكم، ونوفيكم إياها، وفي الكلام تهديد ووعيد لمن كان من أهل البغي والعدون.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾. سورة يونس: الآية/ ٢٤

مناسبة الآية لما قبلها:

لما قال الله تعالى في الآية السابقة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [يونس: ٢٣]، فوضع من شأنها وبين دناءتها وحقارتها، أتبع ذلك بهذا المثل العجيب الذي ضربه لمن جعل سعيه للحياة الدنيا، ورضي بها، واطمأن إليها، واشتد تمسكه بها، واغتر بها، وبغى في الأرض بغير الحق، حتى أعرض عن الآخرة.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ﴾.

يخبر الله تعالى عن صفة الحياة الدنيا، وحالها العجيبة في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد إقبالها، واغترار الناس بها، بحال النبات من الزروع والثمار والحشائش، التي أخرجها الله من الأرض بما أنزل من السماء من الماء، مما يأكل منه الناس والأنعام، فاختلط النبات بالمطر، وشرب منه فاخْضَرَّ وحسن، وتداخل بعضه في بعض.

﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ﴾.

حتى إذا بلغت الأرض الكمال في الحسن والبهاء، وتبدى رونقها بذلك النبات وتلك الثمار.

﴿وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾.

أي: وأيقن أهل الأرض أنهم متمكنون منها وقادرون على جذاذ الثمار، وقطافها والتمتع بها، وحصاد الزروع، وادخار غلاتها.

﴿أَتاها أَمْرُنا لَيْلاً أَوْ نَهاراً﴾.

أي: أتاها قضاء الله تعالى الذي لا يرد بإهلاكها بجائحة سماوية، ليلًا وهم نائمون، أو نهارًا وهم غافلون، والترديد بين الليل والنهار لبيان أن نزول الهلاك يكون حيث لا يتوقعه أحد.

﴿فَجَعَلْناها حَصِيداً﴾.

أي: فجعلناها كالأرض المحصودة التي قطعت واستؤصل زرعها.

﴿كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ﴾.

أي: لم تكنْ على تلكَ الصِّفة فيما قبلُ. وقد غَنِيَ بالمكان: إذا أقام به، من حدِّ عَلِم.

﴿كَذلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

أي: كما بيَّنا هذا المثل نبيّن سائرَ الآيات، ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾؛ لأنهم هم الذين ينتفعون بها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. سورة يونس: الآية/ ٢٥

لما ذم الله تعالى الدنيا وبين هوانها وكثرة آفاتها وسرعة انقضاها، وأن زينتها إلى زوال، دعا عباده للعمل لدار السلام التي أعدها لأوليائه، التي سلمت من الآفات، فلا يمسهم فيها نصب، ولا يمسها فيها لغوب، وليس فيها كدر ولا أحزان؛ أي: والله يدعو عباده إلى دخول الجنة، وهذا الدُّعاءُ عامٌّ للناس جميعًا، فالكلُّ مدعوُّون، والداعي بأمر الله تعالى هو رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وسماها الله تعالى دار السلام؛ لأنها سلمت من الآفات والنقائص، والأكدار؛ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: "جَاءَتْ مَلاَئِكَةٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ نَائِمٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: إِنَّ لِصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلًا، فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا، وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً وَبَعَثَ دَاعِيًا، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ المَأْدُبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، فَقَالُوا: أَوِّلُوهَا لَهُ يَفْقَهْهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: فَالدَّارُ الجَنَّةُ، وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرْقٌ بَيْنَ النَّاسِ".[١]

وقال الحسنُ وقتادةُ: السَّلام: اللَّهُ، ودارُه: الجنَّةُ.

﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

أي: ومَن حَسُنَتْ إجابته لله وفقه الله تعالى للإيمان والعمل الَّذي يفضي به إليها، والهداية هنا هداية التوفيق.

وَالصراط المستقيم: الإسلام؛ فعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ، صَاحِبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا عَلَى كَتِفَيِّ الصِّرَاطِ سُورَانِ فِيهِمَا

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الِاعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بَابُ الِاقْتِدَاءِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، حديث رقم: ٧٢٨١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلَى الصِّرَاطِ دَاعٍ يَدْعُو يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اسْلُكُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا وَلَا تَعْوَجُّوا، وَدَاعٍ يَدْعُو عَلَى الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ فَتْحَ شَيْءٍ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ، قَالَ: وَيْلَكَ لَا تَفْتَحْهُ فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ، فَالصِّرَاطُ: الْإِسْلَامُ، وَالسُّتُورُ: حُدُودُ اللَّهِ، وَالْأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ مَحَارِمُ اللَّهِ، وَالدَّاعِي الَّذِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ كِتَابُ اللَّهِ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقُ وَاعِظُ اللَّهِ يَذْكُرِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ».[1]

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ١٧٦٣٤، والترمذي- أَبْوَابُ الْأَمْثَالِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي مَثَلِ اللَّهِ لِعِبَادِهِ، حديث رقم: ٢٨٥٩، والحاكم في المستدرك- حديث رقم: ٢٤٦، وأمثال الحديث للرامهرمزي- حديث رقم: ٣، والسنة لابن أبي عاصم- حديث رقم: ١٩، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. سورة يونس: الآية/ ٢٦

لما أخبر الله تعالى أنه يدعوا عباده إلى دار السلام، أخبر هنا أن من استجاب له وأحسن اعتقاده في الله تعالى، وأحسن العمل، أنه له الحسنى وهي الجنة جزاء إحسانه، وأن له زيادة على الجنة النظر إلى وجه الله تعالى.

روى ابنُ جَرِيرٍ عَنْ كَعبِ بنِ عُجرة، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي قَوْلِهِ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾، قَالَ: النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ الرَّحْمَنِ عز وجل.

وعن أُبَيّ بْنِ كَعْبٍ: أَنَّهُ سَأَلَ رسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عز وجل: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾، قَالَ: «الْحُسْنَى: الْجَنَّةُ، وَالزِّيَادَةُ: النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ عز وجل».[١]

وقَالَ أَبُو تَمِيمَةَ الْهُجَيْمِيُّ: سَمِعْتُ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ عَلَى مِنْبَرِ الْبَصْرَةِ يَقُولُ: "إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَلَكًا إِلَى الْجَنَّةِ، يَقُولُ: هَلْ أَنْجَزَكُمُ اللَّهُ مَا وَعَدَكُمْ؟ فَيَنْظُرُونَ فَيَرَوْنَ الْحُلِيَ، وَالْحُلَلَ، وَالثِّمَارَ، وَالْأَنْهَارَ، وَالْأَزْوَاجَ الْمُطَهَّرَةَ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، قَدْ أَنْجَزَنَا اللَّهُ مَا وَعَدَنَا، فَيَقُولُ الْمَلَكُ: هَلْ أَنْجَزَكُمْ مَا وَعَدَكُمْ؟ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - فَلَا يَفْقِدُونَ شَيْئًا مِمَّا وُعِدُوا، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: بَقِيَ لَكُمْ شَيْءٌ، إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [يونس: ٢٦] أَلَا إِنَّ الْحُسْنَى الْجَنَّةُ، وَالزِّيَادَةُ النَّظَرُ إِلَى اللَّهِ".[٢]

وعن قتادةَ فِي قَوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾، قَالَ: «بلَغنا أن المؤمنين لما دخلوا الجنةَ ناداهم مُنادٍ: إن اللَّهَ وعَدكم الحسنى، وهي الجنةُ، وأما الزيادةُ: فالنظرُ إلى وَجْهِ الرحمن».[٣]

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، قَالَ: «الْحُسْنَى الْجَنَّةُ، وَالزِّيَادَةُ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ».[٤]

---

١ - رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٢/ ١٦٢)

٢ - رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق- ت الأعظمي (الملحق/ ١٢٧)

٣ - رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٢/ ١٦١)

٤ - رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٢/ ١٥٩)، وعبد الرزاق في تفسيره- حديث رقم: ١١٥٩

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ﴾.

والرهق: الغشيان، يقال: رهقه الذل إذا غشيه، وغلب عليه حتى غطاه وحجبه؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ الكهف: ٧٣]، والقتر: الدخان وكل غبرة فيها سواد، والذلة: الهوان.

أي: لا يعتري وجوههم في أرض المحشر ما يعتري وجوه الكفار من السواد، والظلمة، والقترة، والذل، والهوان.

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

أي: الذين أحسنوا أولئك أصحاب الجنة؛ لما كانوا يتصفون به من الإحسان، وهم في الجنة خالدون، وتقديم الضمير في الموضعين للتخصيص، وفي الكلام تعريض بالكفار الذين غرتهم الحياة الدنيا، واطمأنوا بها، وغفلوا عن الآخرة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئاتِ جَزاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِها وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عاصِمٍ كَأَنَّما أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾. سورة يونس: الآية/ ٢٧

لما أخبر الله تعالى عن حال الذين أحسنوا وأنه تعالى جعل لهم الجنة جزاء إحسانهم، أخبر تعالى هنا عن حال الذين اقترفوا السيئات، وعلى رأسها الكفر والشرك بالله تعالى، وهذا هو منهج القرآن في ذكر الشيء ومقابله؛ كما قال الله تعالى: ﴿مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها وَمَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزى إِلاّ مِثْلَها وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وكما قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ (٨٩) وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[النمل: ٨٩]، وإنما جعل الله تعالى جزاء السيئة بمثلها؛ لأن ذلك مقتضى عدله تعالى، وجعل سبحانه جزاء الحسنة خيرًا منها؛ لأن ذلك فضل الله تعالى، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عز وجل قَالَ: قَالَ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً».[١]

﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾.

أي: وتعتريهم ذلةٌ بسبب كفرهم وما اقترفوه من السيئاتِ؛ كما قال تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ باسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِها فاقِرَةٌ﴾.[٢]

١ - رواه البخاري-كتاب الرقاق، بَابُ مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ أَوْ بِسَيِّئَةٍ، حديث رقم: ٦٤٩١

٢ - سورة القيامة: الآية/ ٢٤، ٢٥

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عاصِمٍ﴾.

العاصم: المانع. ومعنى من الله من عذابه وانتقامه منهم؛ أي: ما لهم من مانع يمنعهم مِن عذابِ اللَّهِ تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿وَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ﴾.[1]

﴿كَأَنَّما أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً﴾.

أي: كأنما كسيت وجههم أجزاءً من الليل حال كونه مظلمًا؛ لشدة سوادها؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٠٦]، وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ [عَبَسَ: ٣٨ -٤٢]. الْآيَةَ

﴿أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾.

ذكر حالهم كما ذكر حال أهل الإحسان في الآية السابقة بقوله: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

١ - سورة البقرة: الآية/ ٢٧٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكاؤُكُمْ فَزَيَّلْنا بَيْنَهُمْ وَقالَ شُرَكاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانا تَعْبُدُونَ (٢٨) فَكَفى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبادَتِكُمْ لَغافِلِينَ﴾. سورة يونس: الآية/ ٢٨، ٢٩

في الكلام إيجاز بالحذف تقديره: واذكر يوم نحشرهم.

يقول الله تعالى: واذكر يوم نحشر الخلق جميعًا للعرض على الله تعالى للحساب والجزاء يوم القيامة؛ كما قال تعالى: ﴿وَحَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾.[1]

﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكاؤُكُمْ﴾.

أي: ثم نقول للذين أشركوا الزموا مكانكم أنتم وشركاؤكم لا تبرحوه، وامتازوا عن مقام المؤمنين؛ كما قال تعالى: ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾.[2]

﴿فَزَيَّلْنا بَيْنَهُمْ﴾.

أي: ففرقنا وميزنا بين المشركين وشركائهم، وقطعنا ما كان بينهم من التواصل في الدنيا، ويقال: زلته أزيله؛ أي: فرقته، وزيلته، وقوله تعالى: ﴿فَزَيَّلْنا﴾ بالتشديد للمبالغة في التفريق بينهم.

﴿وَقالَ شُرَكاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانا تَعْبُدُونَ﴾.

أي: تبرؤا منهم وأنكروا عبادتهم؛ كما قال تعالى: ﴿كَلا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مَرْيَمَ: ٨٢]، وكما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾.[3]

---

١ - سورة الكهف: الآية/ ٤٨

٢ - سورة يس: الآية/ ٥٩

٣ - سورة الْأَحْقَافِ: الآية/ ٥، ٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَكَفى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبادَتِكُمْ لَغافِلِينَ﴾.

أي: يقول شركاؤهم لهم إمعانًا في البراءة منهم: الله شهيد بيننا وبينكم أنا ما دعوناكم إلى عبادتنا، ولا أمرناكم بها، وما كنا نشعر بها، ولا رضينا بذلك منكم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿هُنالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كانُوا يَفْتَرُونَ﴾. سورة يونس: الآية/ ٣٠

يقول الله تعالى: ﴿هُنالِكَ﴾؛ أي: في ذلك المكان، وفي ذلك الموقف، أو في ذلك الوقت استعير ظرف المكان للزمان؛ أي: في ذلك الوقت المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً﴾، ﴿تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ﴾؛ أي: تعلم كل نفس وتختبر جزاء ما أسلفت من العمل؛ كما قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ كِتاباً يَلْقاهُ مَنْشُوراً (١٣) اقْرَأْ كِتابَكَ كَفى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾ [الإسراء: ١٣- ١٤]، وقال تعالى: ﴿يُنَبَّؤُا الْإِنْسانُ يَوْمَئِذٍ بِما قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [الْقِيَامَةِ: ١٣]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرائِرُ﴾.[١]

وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب: ﴿هُنالِكَ تَتلوا كُلُّ نَفْسٍ﴾، بتاءين أي: تقرأ، كل نفس صحيفتها. وقيل: معناه تتبع كل نفس ما أسلفت؛ أي: ما قدمت من خير أو شر.

﴿وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ﴾.

الرد هو: صرف الشيء إلى الموضع الذي جاء منه، والمعنى: أنهم أرجعوا مقهورين إلى الله تعالى الذي خلقهم، والذي يتولى أمرهم، لا تلك الأوثان التي كانوا يلجأون إليها ويدعونها من دون الله تعالى.

﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

أي: وغابت عنهم أصنامهم وطواغيتهم التي كانوا يزعمون كذبًا وزورًا أنها تملك لهم النفع، وتدفع عنهم الضر.

١ - سورة الطَّارِقِ: الآية/ ٩

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ (٣١) فَذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَماذا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَاّ الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (٣٢) كَذلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾. سورة يونس: الآية/ ٣١- ٣٣

يقول تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعبدون الأوثان: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ﴾، بإنزال الغيث وإنبات الزرع، وهو استفهام الغرض من التقرير.

﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصارَ﴾.

أي: أمن الذي يملك أسماعكم وأبصاركم غير الله؟ ولو شاء لسلبها فلم تسمعوا ولم تبصروا.

﴿وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾.

أي: ومن يخرج الشيء الحي من الميت، فيخرج الولد الحي من النطفة الميتة، ويخرج الزرع من الحبة اليابسة، والطير من البيضة، ويخرج الشيء الميت من الحي، كما في ضد هذه المذكورات.

﴿وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾.

أي: ومن يدبر أمر هذه الكائنات كلها؟

﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾.

أي: فسيقولون الله هو الذي يفعل تلك الأشياء، فإذا أقروا بعد الاحتجاج عليهم فقل لهم: أفلا تخافون عقابه وأنت تشركون به؟

﴿فَذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَماذا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَاّ الضَّلالُ﴾.

أي: فذلكم الفعَّالُ لهذهِ الأشياءِ هو الله الذي لا ريبَ فيه، قال ابن عباس: يريد: الذي هذا كله فعله هو الحق ليس هؤلاء الذين جعلتم معه شركاء لا يملكون شيئًا من هذا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾.

أي: فكيف تصرفون عن الحقِّ إلى الباطلِ.

﴿كَذلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾.

أي: كما كفر هؤلاء المشركون بالله تعالى، وعبدوا غيره مع إقرارهم بأنه الخالق الرازق المدبر لأمور الخلائق حقت كلمة الله تعالى على كل من خرج عن أمر الله تعالى، وتمرد على شرعه، وكفر به وعبد غيره، أنهم لا حظ لهم ولا نصيب في الإيمان.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾. سورة يونس: الآية/ ٣٤

يقول تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾، لإقامة الحجة عليهم أن تلك الأوثان لم تخلق شيئًا، ولا تملك شيئًا على الإطلاق؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعاً وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلا حَياةً وَلا نُشُوراً﴾.[1]

وأمر الله تعالى بسؤالهم لتقريرهم؛ فإنهم يعلمون أن أوثانهم لا تخلق ولا تملك، ولتوبيخهم على تسوية الخالق بالمخلوق؛ كما قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.[2]

﴿قُلِ اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾.

أي قلهم يا محمد إن أقروا أو لم يقروا: ﴿اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾، أي: الله تعالى هو الذي يبدؤا الخلق من العدم، وهو تعالى الذي يعيد الخلق؛ كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾.[3]

﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾.

تؤفكون: تصرفون؛ أي: فكيف تصرفون عن اتباع الحق؟

---

١ - سورة الفرقان: الآية/ ٣

٢ - سورة النحل: الآية/ ١٧

٣ - سورة الروم: الآية/ ٢٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلَاّ أَنْ يُهْدى فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾. سورة يونس: الآية/ ٣٥

مناسبة الآية لما قبلها:

لما أمر الله تعالى رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ.....﴾، أعقب ذلك ببيان هداية الله تعالى للعباد؛ لما بين الخلق والهداية من التلازم؛ فالخالق تبارك وتعالى هو الذي يملك الهداية؛ كما قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨]، وقال تعالى: ﴿الَّذِي أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى﴾ [طه: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى- وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدى﴾.[1]

يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المشركين ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾، من الأوثان الذين تعبدونهم من دون الله ﴿مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾؛ أي: من يهدي حائرًا إلى الحق، ويسدد جائرًا عن سواء السبيل؟

﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾.

ثم قال تعالى له: قل يا محمد إن أقروا أو لم يقروا أن أصنامهم لا يهدي حائرًا، ولا ترشد ضالًا: ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾؛ هداية توفيق وهداية إرشاد ودلالة، والهداية تتعدى على ثلاثة أوجه، يقال: هديته كذا، ولكذا، وإلى كذا.

﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلَاّ أَنْ يُهْدى﴾.

أي: ثم قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم، موبخًا ومقررًا: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلَاّ أَنْ يُهْدى﴾؛ قال الحسن: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾، وذلك هو الله تعالى ﴿أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ﴾؛ أي: يعمل بأمره ﴿أَمَّنْ لا يَهِدِّي﴾ أي: أمن لا يهتدي إلى خير؛ لأنه جماد لا يعرف هدى من ضلال، ولا خيرًا من شر، ولا نفعًا من ضر.

---

١ - سورة الأعلى: الآية/ ٢، ٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والفعل (هَدَى) يتعدى بنفسه، ويتعدى باللام ويتعدى بـ (إلى)؛ يقال: هداه للحق، وإلى الحق، فجمعت الآية بين التعدي باللام والتعدي بـ (إلى).

وللقراء في قوله تعالى: ﴿لا يَهِدِّي﴾، سبع قراءات متواترة وكلها بمعنى واحد:

قرأ ابن كثير وابن عامر وورش عن نافع وروح عن يعقوب: ﴿يَهَدِّي﴾ بفتح الهاء وتشديد الدال، وأصله: يهتدي، فأدغمت التاء في الدال، ونقلت فتحتها إلى الهاء لئلا يجتمع ساكنان.

وقرأ قالون وابن جماز: ﴿يَهِدِّي﴾ بفتح الياء وتشديد الدال، ولهما في الهاء الإسكانُ واختلاسُ الفتحة.

وقرأ أبو عمرو بخلف عنه وقالون عن نافع: ﴿يَهَدِّي﴾ باختلاس فتحة الهاء وتشديد الدال.

وقرأ حفص عن عاصم، ورويس عن يعقوب: ﴿يَهِدِّي﴾ بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال إتباعًا لكسرة الدال بعد الهاء.

وقرأ شعبة عن عاصم: ﴿يِهِدِّي﴾ بكسر الياء لانكسار الهاء؛ لتتفق الحركات.

وقرأ حمزة والكسائي وخلف: ﴿يَهْدِي﴾ بإسكان الهاء وتخفيف الدال على الأصل الثلاثي.

وقرأ ابن وردان: ﴿يَهْدِّي﴾ بفتح الياء وإسكان الهاء وتشديد الدال.

﴿فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

أي: ما شأنكم كيف تقضون أنَّ هذه الأصنام شركاء مع الله تعالى؟ وأي شيء لكم في عبادتها؟

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾.

سورة يونس: الآية/ ٣٦

لما ذكر الله تعالى الأدلة القاطعة على وحدانيته تعالى وأنه هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده، وأنه هو الذي يهدي للحق، بين تعالى هنا أن هؤلاء المشركون ما قالوا بألوهية تلك الأصنام إلا لظنٍّ اتبعوه تقليدًا منهم لآبائهم، لا يستند لبرهان، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ﴾، المرادُ بالأكثر: جميعُ من يقولُ ذلك.

وقيل المعنى: وما يتبع هؤلاء المشركون في الله تعالى وصفاته إلا ظنًّا تلقفوه عن آبائهم، فاتبعوهم غير مستبصرين.

﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾.

أي: وما يتبع أكثرهم في عبادتهم الأصنام، واعتقادهم أنها تشفع لهم عند الله وتقربهم إليه إلا الظن، وذلك لا يغني عنهم شيئا.

وقيل: إن الظن في معرفة الله لا يغني صاحبه شيئًا من إدراك الحق ومعرفته على ما هو عليه.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾.

تهديد ووعيد لهم أنه تعالى لا يخفى عليه شيء مما يفعلونه من اتباع الظن وترك الحق، وأنه سيجازيهم على ذلك أتم الجزاء.

وفي هذه الآية دليل على أنه لا يكتفى بالظن في العقائد، بل لابد من اليقين المنافي للشك.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. سورة يونس: الآية/ ٣٧

مناسبة الآية لما قبلها:

لما قال المشركون لرسول الله صلى لله عليه وسلم: ﴿ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾ [يونس: ١٥]، أنزل الله تعالى هذه الآية ردًّا على المشركين. قال الزجاج: هذا جواب قولهم: ﴿ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾، وجواب قولهم: افْتَرَاهُ.

﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

يقول تعالى: ما ينبغي لمثل هذا القرآن أن يفترى من دون الله؛ لما يشتمل عليه القرآن من الإخبار عن الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله تعالى، والحقائق الكونية التي لا يحيط بها علم بشر، والتشريعات التي لا تحيط بها مدارك البشر، والأساليب البلاغية التي يعجز عن أساطين البلاغة، وأرباب الفصاحة.

وقال ابن الأنباري: يجوز أن تكون ﴿أَنْ﴾ مع ﴿يُفْتَرَى﴾ مصدرًا، وتقديره: وما كان هذا القرآن افتراءً.

كما يقول القائل: ما كان حديثك إلا نصحًا؛ فيكون ردًّا على قول المشركين: (افتراه).

﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾.

في الكلام حذف اختصار تقديره: ولكن كان تصديقَ الذي تقدم نزوله من الكتب، ومهيمنًا عليها، ومبينًا لما وقع فيها من التحريف والتبديل، والاختلاف؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.[١]

١ - سورة النمل: الآية/ ٧٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

التفصيل: التبيين، والمراد بالكتاب هنا القرآن، والألف واللام في الكتاب للعهد؛ أي: ولكن كان هذا القرآن بيانًا شافيًا لما أنزله الله تعالى من أحكام على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. سورة يونس: الآية/ ٣٨

مناسبة الآية لما قبلها:

لما أخبر الله تعالى في الآية السابقة أن القرآن العظيم أجل وأسمى من أن يفترى لعجز الخلق عن الإتيان بمثله، وأنه فوق مدارك البشر، وأسمى من أن يعارض بكلام البشر، ذكر تعالى هنا ادعاء المشركين أن محمدا صلى الله عليه وسلم افتراه، فتحداهم أن يأتوا بسورة من مثله.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾.

الاستفهام للإنكار والتعجيب من حال هؤلاء المشركين، وهو تمهيد للرد عليهم بتحدي التعجيز، وكان من شبهات المشركين لصرف الناس عن دين الله تعالى، وعن الإيمان بالقرآن ونبي الإسلام صلى الله عليه وسلم زعمهم أن محمدًا صلى الله عليه وسلم افترى القرآن واختلقه؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (٤) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.[١]

﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾.

أي: قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم: إن زعمتم أن هذا القرآن مفترى فأتوا بسورة مثله في أسلوبه وبلاغته ونظمه وتأثيره وهدايته وعلمه، وأنتم أرباب الفصاحة وأساطين البلاغة، وقوله: ﴿بِسُورَةٍ﴾، نكرة في سياق الإثبات يفيد الإطلاق؛ أي: فأتوا بأي سورة وإن كانت مثل أقصر سورة في القرآن.

﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

واستعينوا على تحقيق ذلك بما استطعتم من الخلق، إن كنتم صادقين في ادعائكم أنه مفترى، وهذا المقام الثالث في التحدي، فقد تحداهم الله تعالى أن يأتوا بمثل هذا القرآن فعجزوا؛ كما قال تعالى: ﴿قُلْ

١ - سورة الفرقان: الآية/ ٤، ٥

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾.[1]

ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور من مثله مفتريات فعجزوا؛ كما قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.[2]

ثم حكم الله تعالى بعجزهم على كل حال، وأنهم لن يستطيعوا معارضته أبدًا فقال: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾.[3]

١ - سورة الإسراء: الآية/ ٨٨

٢ - سورة هُودٍ: الآية/ ١٣

٣ - سورة البقَرَةِ: الآية/ ٢٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٣٩) وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾.

سورة يونس: الآية/ ٣٩، ٤٠

لما تحدى الله تعالى المشركين أن يأتوا بسورة من مثل القرآن لما زعموا أن محمدًا صلى الله عليه وسلم افتراه، اخبر الله تعالى هنا عن علة كفرهم بالقرآن، وسبب إعراضهم عن الإيمان به، فقال: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾، ﴿بَلْ﴾ إضراب انتقالي عن إظهار بطلانِ ما قالُوا في حقِّ القُرآنِ العظيمِ بالتحدِّي، إلى بيان كنه تكذيبهم وأن إعراضهم عنه ناشيءٌ عن جهلهم بشأنه الجليلِ، من ذكر البعث والجزاء والجنّة والنّار، ومصارع الغابرين، وما فيه من تشريع وأحكام، فلم يفهموه ولم يعرفوه، والإحاطة بعلم الشيء هي: المعرفة به من جميع وجوهه.

﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾.

أي: ولم يأتهم بعد وسيأتيهم ما يؤول إليه حقيقة ما وُعدوا به.

﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.

أي: كما كذب هؤلاء الكفار بالقرآن، كذلك كذب الذين من قبلهم من الأمم الخالية.

﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾.

أي: فتأمل كيف عاقبهم الله تعالى على كفرهم وتكذيبهم بالهلاك في الدنيا مع ما ينتظرهم يوم القيامة من العذاب الأليم.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾.

أي: ومن أهل مكة من يؤمن بالقرآن، ويعلم أَنَّه حقٌ ولكن يكفر به عنادًا واستكبارًا، ومنهم من لا يصدق به ويشك فيه ويكفر به لجهله أنه كلام الله تعالى.

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾.

أي: وربك تعالى أعلم بمن يستحق الهداية فيهديه، ومن يستحق الضلالة فيضله.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (٤١) وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كانُوا لا يَعْقِلُونَ (٤٢) وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كانُوا لا يُبْصِرُونَ (٤٣) إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾. سورة يونس: الآية/ ٤١، ٤٤

يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وإن أصرَّ هؤلاء المشركون على تكذيبك بعد إقامة الحجة فقل لهم: لي جزاء عملي وهو البلاغ المبين، والإنذار والتبشير، والإيمان بالله تعالى وطاعته، ولكم جزاء عملكم، وهو شرككم بالله تعالى، وتكذيبكم بآياته؛ وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾. [الكافرون: ٦]، وقال ابن زيد الآية منسوخة بآيات السيف، والراجح أنها محكمة لأن البراءة من الكفار وأعمالهم دائمة على كل حال كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.[1]

﴿أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

أي: لا تحاسبون على عملي، ولا أحاسب على ما تعملون؛ وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿قُلْ لا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سبأ: ٢٥]، وقوله: ﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾.[2]

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كانُوا لا يَعْقِلُونَ﴾.

أي: ومن هؤلاء المشركين من يستمعون اليك إذا قرأت القرآن، وتكلمت بما أوحاه لله إليك من السنة، ولا يعقلون كلامك، ولا يفهمون مرادك، لما طبع الله على قلوبهم.

١ - سورة الممتحنة: الآية/ ٣

٢ - سورة هود: الآية/ ٣٥

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كانُوا لا يَعْقِلُونَ﴾.

استفهامٌ، معناه النفيُ؛ أي: لا تقدر على هداية هؤلاء، إلا أن يشاء الله، والسماع المنفي هو سماع الاستجابة.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كانُوا لا يُبْصِرُونَ﴾.

أي: ومنهم من ينظر إليك وإلى ما أعطاك الله من حسن السمت، ودلائل الصدق، ولا يؤمنون بك ولا يصدقونك، استفهامٌ، معناه النفيُ أي: لا تقدر على هدايتهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

المعنى: إنما قدر الله تعالى الضلال لعلمهم أنهم يستنكفون عن قبول الحق واتباعهم، إثار الكفر على الإيمان.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾. سورة يونس: الآية/ ٤٥

مناسبة الآية لما قبلها:

لما أخبر الله تعالى عن حال المشركين وتكذيبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وحالهم مع القرآن، وعدم تدبرهم واعتبارهم بآياته، وما يترتب على ذلك من ظلمهم لأنفسهم وخسارتهم لها في الآخرة، أخبر هنا عن حالهم يوم القيامة عند انقضاء الدنيا، وما يحل بهم من الخسران؛ لضلالهم وتكذيبهم بالبعث والنشور.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ﴾.

يقولُ الله تعالى: ويومَ نَحْشُرُ هؤلاء المشركين المكذبين، فنَجْمَعُهم في موقفِ الحسابِ، كأنهم لم يلبَثوا في الدنيا إلا ساعةً مِن نهارٍ يَتعارَفون فيها فيما بينهم، ثم انقَضَت تلك الساعةُ، لقصر عمر الدنيا وسرعة زوالها؛ وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ * قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلا قَلِيلا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: ١١٢، ١١٤]، وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النَّازِعَاتِ: ٤٦] ، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا * يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلا عَشْرًا * نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلا يَوْمًا﴾.[1]

﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾.

أي: كأنهم لم يلبثوا في الدنيا إلا بقدر ما يتعارف الناس، ثم يذهب كل واحد منهم إلى حال سبيله؛ قول متمم بن نويرة:

فلما تفرقنا كأني ومالكاً ***** لطولِ اجتماعٍ لم نبتْ ليلةً معا

١ - سورة طه: الآيات/ ١٠٢- ١٠٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.

لم يبين الله تعالى هنا ما الذي خسره هؤلاء المكذبون لتذهب النفس كل مذهب فيما يصيبهم من الخسران يوم القيامة، ويدخل في ذلك، خسران النفس والأهل؛ كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَلا ذلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ﴾، [الزمر: ١٥]، وخسران النعيم المقيم في جنات النعيم، وخسران رضوان رب العالمين.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلى مَا يَفْعَلُونَ (٤٦) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذا جاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾. سورة يونس: الآية/ ٤٦، ٤٧

﴿إِمَّا﴾، أصلها (إنْ) الشرطية زيدت بعدها (ما) لتوكيد الشرط، وأصل الكلام: (إنْ نريك بعض الذي نعدهم...)، فزيدت (ما) لتوكيد الشرط، وإن زيدت (ما) بعد (إن) الشرطية في الفعل المضارع، يجب توكيد الفعل بعدها بنون التوكيد، على خلاف بين علماء العربية، وتوكيد الفعل بعده بالنون لغة القرآن؛ كما في قوله تعالى: ﴿فإمَّا تثْقَفَنَّهُمْ فِي الحَرب﴾ [الأنفال: آية ٥٧]، وقوله: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ﴾ [فصلت: آية ٣٦]، وقوله: ﴿فَإِمَّا نَذهَبَنَّ بِكَ﴾.[1]

يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾، يا محمد في حياتك بعض الذي نَعِدُ هؤلاء المشركين من قومك من العذابِ لتقرَّ عينك بذلهم في الدنيا، ومن ذلك القتل والأسر يوم بدر.

وجواب ﴿نُرِيَنَّكَ﴾ محذوف والتقدير: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ في الدنيا فذاك.

﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنا مَرْجِعُهُمْ﴾.

أي: أو نتوفينك قبل أن نريك عذابهم في الدنيا، فإلينا مصيرهم ومآلهم، فلن يعجزوا الله تعالى.

﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلى مَا يَفْعَلُونَ﴾.

وعيد وتهديد لهم على كفرهم، فإن من لوازم علم الله تعالى بأفعالهم، وكونه شهيدًا عليهم أن يجازيهم على أفعالهم.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ﴾.

أي: ولكل أمة من الأمم الخالية رسول بعثه الله تعالى إليهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيها نَذِيرٌ﴾.[2]

---

١ - سورة الزخرف: الآية/ ٤١

٢ - سورة فاطر: الآية/ ٢٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَإِذا جاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾.

قال مجاهد: يعني يوم القيامة.

أي: قضي بينهم يوم القيامة بحضرة رسولهم ليكون شاهدًا عليهم، ولا يظلمهم الله تعالى فيعذبهم بغير حجة؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.[1]

١ - سورة الزُّمَرِ: الآية/ ٦٩

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (٤٨) قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلا نَفْعاً إِلَاّ مَا شاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذا جاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾. سورة يونس: الآية/ ٤٨، ٤٩

يخبر الله تعالى عما يقوله مشركوا قريش استعجالًا منهم بالعذاب، حين توعدهم الله تعالى بقوله: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنا مَرْجِعُهُمْ....﴾. أي: ويقول كفار قريش للنبي صلى الله عليه وسلم، ومن اتبعه من المؤمنين: متى يقع هذا الوعد الذي تعدوننا به إن كنتم صادقين في قولكم؟

وإنما يستعجل المشركون عذاب الله تعالى لغفلتهم عما وقع للأمم الغابرة، وجهلهم بعظيم قدرة الله تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلاتُ﴾. [الرعد: ٦]، يعني: وقد تقدمت عقوبات الله للأمم الكافرة قبلهم.

﴿قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلا نَفْعاً إِلَاّ مَا شاءَ اللَّهُ﴾.

أي: قل يا محمد صلى الله عليه وسلم للذين يستعجلونك بعذاب الله تعالى: لا أقدر على جلب نفع لنفسي، ولا أقدر على دفع ضرٍّ عنها، ولكن يجري عليَّ ما قدره الله تعالى، فأنا لا أعلم شيئًا مما استأثر الله تعالى بعلمه، وموعدُ عذابك مما استأثر الله تعالى بعلمه، ولا أعلم منه شيئًا إلا ما شاء الله تعالى أن يطلعني عليه.

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾.

أي: لكلِّ قومٍ أجلٌ مقدرٌ، ومدةٌ محددةٌ، كتب الله تعالى ذلك في اللوح المحفوظ.

﴿إِذا جاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

أي: فإذا بلغوا الذي قدره الله تعالى، واستكملوا مدتهم، وفنيت أعمارهم، فلا يُمهلون ساعة، ولا يتقدمون عن آجالهم ساعة، فإن كل شيء بقضاء وقدر.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتاكُمْ عَذابُهُ بَياتاً أَوْ نَهاراً مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ (٥٠) أَثُمَّ إِذا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ آلْآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (٥١) ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَاّ بِما كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾. سورة يونس: الآية/ ٥٠- ٥٢

يقولُ الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المشركين: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتاكُمْ عَذابُهُ﴾، ضُمِّنَ لفظ: ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ معنى: أخبروني؛ أي: أخبروني عن حالكم إن أتاكم عذاب الله الذي تستعجلون به، ﴿بَياتاً﴾، أي: مبيتكم في الليل، ﴿أَوْ نَهاراً﴾، أي: حال اشتغالكم بلهوكم ولعبكم أو أمور معاشكم بالنهار.

قَالَ مَالِكٌ: قَالَتِ ابْنَةُ الرَّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ: يَا أَبَتَاهُ مَالِي أَرَى النَّاسَ يَنَامُونَ وَلا أَرَاكَ تَنَامُ؟ فَقَالَ: يَا بُنَيَّةُ إِنَّ أَبَاكِ يَخَافُ الْبَيَاتَ.[1]

﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾.

استفهام الغرض منه التهويل؛ والمعنى: ماذا يَستَعجِلُ مِن نزول العذاب المجرمون؛ كما يقال لمن يعالج أمرًا يعود عليه بالضرر: ماذا تجني على نفسك؟

قال القشيري رحمه الله: من عرف كمال القدرة لم يأمن من أخذ الفجأة، ومن خاف البيات لم يستلذ السبات، ومن توسد الغفلة أيقظته فجأة العقوبة، ومن استوطأ مركب الزلة عثر به في وهدة المحنة.

﴿أَثُمَّ إِذا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ آلْآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾.

أي: أتستعجلون بالعذاب فإذا وقع بك العذاب آمنتم باللهِ حيث لا ينفعُكم الإيمانُ؛ وكان حالكم كحال أسلافكم الذين قال الله فيهم: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾.[2]

---

١ - رواه البيهقي في شعب الإيمان- باب في الخوف من الله تعالى، حديث رقم: ٩٨٤، ومحمد بن نصر المروزي في الورع- بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ الصَّدَقَةِ لِبَنِي هَاشِمٍ، حديث رقم: ٢٥٣، ومختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر (ص: ٤٨)

٢ - سورة غَافِرٍ: الآية/ ٨٤، ٨٥

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَاّ بِما كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

أي: ثم قيل لهم يوم القيامة تبكيتًا وتقريعًا: ﴿ذُوقُوا عَذابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَاّ بِما كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا * هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ * أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ * اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.[1]

١ - سورة الطور: الآيات/ ١٣- ١٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾. سورة يونس: الآية/ ٥٣

لما توعد الله تعالى المشركين على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بالعذاب في الدنيا، إذا ظلوا سادرين في غيهم مقيمين على كفرهم، وما يعقب ذلك من العذاب الدائم الذي لا ينقطع في النار يوم القيامة، قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم مستخبرين ومتعجبين: ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾؛ يعني: ما تتوعدنا به في الدنيا من الهلاك، وما تتوعدنا به في الآخرة من العذاب حق؟

وقولهم هذا كقولِ قومِ إبراهيم عليه السلام له حين أمرهم بعبادة الله تعالى وحده، ونبذ عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر: ﴿قالُوا أَجِئْتَنا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٥]؛ وذلك لأنهم اتخذوا دينهم لعبًا ولهوًا، فظنوا لسفاهة عقولهم أن الأنبياء كذلك.

﴿قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾.

أي: قل لهم: نعم، أقسم بالله ﴿إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾، فأكد قوله بالقسم، وإنَّ واللام، نفيًا للشك العارض لهم، فلا يعرف الأنبياء الباطل ولا يتكلمون به، وكلامهم صدق لا يداخله كذب. و (إي) لفظ لا يقال إلا مع الأيمان، ولا يذكر على الإفراد.

﴿وَما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾.

أي: وما أنتم بفائتين من العذاب، لأن من عجز عن شيء فقد فاته.

قال ابن عباس: ﴿بِمُعْجِزِينَ﴾: بسابقين. وقال الزجاج: لستم ممن يُعجز أن يجازى على كفره.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾. سورة يونس: الآية/ ٥٤

يقول الله تعالى: ولو أن لكل نفس كفرت بالله تعالى، وأشركت به تعالى في عبادته غيره، والمراد بالظلم هنا الشرك؛ كما قال تعالى على لسان لقمان: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، يقول: ولو أن لكل نفس كفرت بالله تعالى ﴿مَا فِي الْأَرْضِ لافْتَدَتْ بِهِ﴾، أي: لجعلته فداءً لها من العذاب يوم القيامة؛ كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلا يُقْبَلُ مِنْها شَفاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْها عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٨]، والعدل: الفدية.

وكما قال تعالى: ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾.[١]

﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾.

أي: وأظهروا الندامة، من قولهم أسر الشيء إذا أظهره، وقيل: أخفوا الندامة عجزًا عن النطق لشدة الأمر، ولفظ: أسرَّ من ألفاظ الأضداد، والأول أظهر لقول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾.[٢]

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾.

أي: وقضى الله تعالى بين الظالمين والمظلومين بالعدل، ولا يظلم واحد منها.

١ - سورة المعارج: الآية/ ١١- ١٤

٢ - سورة الفرقان: الآية/ ٢٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ أَلا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٥٥) هُوَ يُحيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾. سورة يونس: الآية/ ٥٥، ٥٦

مناسبة الآيات لما قبلها:

لما قال المشركون لرسول الله صلى الله عليه وسلم مستخبرين ومتعجبين: ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾؛ يعني ما تتوعدنا به في الدنيا من الهلاك، وما تتوعدنا به في الآخرة من العذاب حق؟

ذكر الله تعالى هنا ما يدل على قدرته الباهرة، وسلطانه القاهر، الذي لا يخرج عنه مخلوق برًّا كان أو فاجرًا، وملكه الذي عم الوجود كله.

﴿أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾.

يخبر الله تعالى أن من دلائل وحدانيته، ومن عظيم قدرته أنه تعالى مالك السماوات والأرض، وأنه خالق كل شيء؛ كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢]، وليس لأحد من الخلق في ملك الله تعالى مثقال ذرة، وتصدير الكلام بـ (ألا) وتأكيده بـ (إنّ) للتنبيه إلى عظيم ما يتلى ولدحض افتراء المشركين الذين جعلوا لشركائهم نصيبًا مما خلق الله تعالى، وتقديم اللام في لفظ الجلالة للاختصاص.

﴿أَلا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾.

وأن وعد الله تعالى كائن لا محالة؛ لأنه تعالى مالك الملك، وهو تعالى على كل شيء قدر، ولا يعد فيخلف إلا من عجز عن الوفاء، أو خشي الفقر بعد الغنى، وكلاهما ممتنع عن الله تعالى، ولكن أكثر الناس لا يقدر الله تعالى حق قدره، ولا يعلمون كمال غناه، وعظيم قدرته.

﴿هُوَ يُحيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

ومن دلائل قدرته تعالى أنه هو الذي يحي ويميت وليس ذلك لأحد غيره تعالى، وقد الضمير للاختصاص، وإليه وحده مرجع الخلائق جميعًا ليجازي المحسن بإحسانه والمسيء بما عمل.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفاءٌ لِما فِي الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (٥٧) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾. سورة يونس: الآية/ ٥٧، ٥٨

مناسبة الآية لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى دلائل وحدانيته، وآيات قدرته الباهرة، ذكر تعالى هنا الآية الدالة على صدق رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، القرآن الكريم.

﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

يقول الله تعالى مخاطبًا الناس جميعًا: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، والألف واللام في لفظ الناس للعموم، ولا دليل على تخصيص ذلك بقريش؛ فإن بعثة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم للناس جميعًا، ورسالة الإسلام عامة؛ كما قال تعالى: ﴿قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ﴿قَدْ جاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾؛ أي: قد جاءكم كتاب من ربكم يشتمل على مواعظ وعبر وأحكام لتنتفعوا بها في دينكم ودنياكم، والوعظ: كلام يشتمل على نصح بما ينفع وتحذير مما يضر.

وسماه الله تعالى موعظة لأن التزكية تحصل بكل ما فيه من عقائد وقصص وأحكام.

وقوله تعالى: ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾؛ لبيان مصدر القرآن وأنه كلام الله تعالى، لا كما يزعم المشركون.

﴿وَشِفاءٌ لِما فِي الصُّدُورِ﴾.

أي: وشفاء لما في الصدور من أمراض الشبهات والشهوات، ومن داء الجهل، ومساوئ الأخلاق.

﴿وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

والقرآن هُدىً ورحمةٌ للمُؤمِنينَ، وخص المؤمنين بالذكر؛ لأنه لا ينتفع بما فيه من الهدى، إلا أهل الإيمان، ولا تدرك الرحمة سواهم؛ كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشِفاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾.[١]

١ - سورة فصلت: الآية/ ٤٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ﴾.

أي: قل يا محمد صلى الله عليه وسلم للناس جميعًا: بفضل الله الذي تفضل به عليكم وهو القرآن، ورحمته التي خصكم بها بأن جَعَلَكُم مِن أهلِه، قال أبو سعيد الخدري: ﴿بِفَضْلِ اللَّهِ﴾: القرآنُ، ﴿وَبِرَحْمَتِهِ﴾: أن جَعَلَكُم مِن أهلِه.

﴿فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

أي: بما أنزله الله تعالى من القرآن، وبما خصهم به من الفضل فليفرحوا، هو خير مما يجمعه الكفار من الأموال، وتقديم الجار والمجرور لبيان وجوب اقتصار الفرح على ذلك دون غيره من متاع الدنيا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلالاً قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ (٥٩) وَما ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ﴾. سورة يونس: الآية/ ٥٩، ٦٠

يقول الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين: ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾؛ أي: أخبروني أيها المنكرون للتشريع الإلهي عما أنزل الله لكم من رزق، وعبر عما آتاهم من الرزق بلفظ: (أنزل)؛ لأنه يعبر عن الخلق بالإنزال، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ [الزمر: ٦]، أو أن المراد إنزال المطر الذي هو سبب الحياة والأرزاق؛ كما قال تعالى: ﴿وَفِي السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَما تُوعَدُونَ﴾.[1]

﴿فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلالاً﴾.

لأنهم كانوا يحرّمون ما أرادوا، ويُحلُّون ما أرادوا؛ قال ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: نزلت إنكارًا على المشركين فيما كانوا يحرمون ويحلون من البحائر والسوائب والوصايل، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾.[2]

﴿قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾.

أي: قُلْ لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم: آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ في التحريم والتحليل، فأنتم تفعلون ذلك بإذنه وأمره، أَمْ أنكم تختلقون الكذب على الله تعالى؟

ولا بد لكم من الإقرار بأحد الأمرين، فإن لم يكن الله تعالى أذن لكم، فأنتم مفترون على الله تعالى.

ويحتمل أن تكون (أم) هنا منقطعة بمعنى: (بل)؛ أي: بل أنتم على الله تفترون.

---

١ - سورة الذاريات: الآية/ ٢٢

٢ - سورة الأنعام: الآية/ ١٣٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَما ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيامَةِ﴾.

يعني: وأيُّ شيءٍ ظنُّ هؤلاء الذين يفترون على الله الكذب يومَ القيامةِ وهو يوم الجزاءِ، أيحسبونَ أنهم لا يجازَون على افترائهم على الله؟

﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ﴾.

أي: إن الله تعالى لذو فضل عظيم على الناس جميعًا بتيسير أسباب الهداية، وإنزال أسباب الرزق، ومع ذلك فإن أكثر الناس لا يشكرون الله تعالى الذي تفضل عليهم بإنزال الكتب وإرسال الرسل لهدايتهم، وتفضل عليهم بإنزال الرزق الذي به قوام حياتهم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَما تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَما تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَاّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَما يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي السَّماءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلَاّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ﴾. سورة يونس: الآية/ ٦١

مناسبة الآية لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى جملة من أحوال الكفار ومذاهبهم والرد عليهم، ومحاورة الرسول صلى الله عليه وسلم لهم، وذكر فضله تعالى على الناس وأن أكثرهم لا يشكره على فضله، ذكر تعالى اطلاعه على أحوالهم وحال الرسول معهم في مجاهدته لهم، وتلاوة القرآن عليهم، وأنه تعالى عالم بجميع أعمالهم، واستطرد من ذلك إلى ذكر أولياء الله تعالى، ليظهر التفاوت بين الفريقين فريق الشيطان وفريق الرحمن.[1]

﴿وَما تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾.

يقولُ الله تعالى لرسوله محمدٍ صلى الله عليه وسلم: وَمَا تكون يا محمدُ في أمرٍ من الأمور، أو عملٍ مِن الأعمالِ، والشأن الأمر.

﴿وَما تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ﴾

أي: وما تَقرَأُ مِن كتابِ اللهِ مِن قرآنٍ، مما أنزل عليك من ربك.

﴿وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾

أي: ولا تعملون أي عمل وإن دق في أعينكم إلا والله تعالى به عليم لا يخفى عليه منه شيء.

﴿إِلَاّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾

أي: إلا ونحن مطلعون عليكم لا يغيب عنا شيء من أقولكم ولا أفعالكم، وشهود جمع شاهد، والجمع فيه للتعظيم، و ﴿تُفِيضُونَ﴾؛ أي: تنهضون بجد، يقال: أفاض الرجل في سيره إذا جد فيه

١ - البحر المحيط في التفسير (٦/ ٧٨)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

واندفع، وفي حديثه إذا استطرد واستمر، وفيه معنى الاندفاع، ومنه أفاض الناس من عرفة إذا دفعوا منها.

﴿وَما يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي السَّماءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذلِكَ وَلا أَكْبَرَ﴾.

أصل العزوب البعد يقال: عزب الشيء عن علمي إذا بَعُدَ، وسُمِّيَ الأعزبُ بذلك لبعده عن الأهل.

أي: وما من شيء في الكون دق أو جل، صغر أو كبر إلا والله تعالى يعلمه، ولا يبعد ولا يغيب عن علم الله تعالى ولا عن بصره شيءٌ، و (مِنْ) في قوله تعالى: ﴿مِنْ مِثْقالِ ذَرَّةٍ﴾ لتأكيد النفي وليست زائدة.

﴿إِلَّا فِي كِتابٍ مُبِينٍ﴾.

أي: وما من شيء إلا وهو مكتوب في اللوحُ المحفوظ قبل خلق الخلق بخمسين ألف سنة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. سورة يونس: الآية/ ٦٢، ٦٤

مناسبة الآية لما قبلها:

لما خوف الله تعالى المشركين المفترين على الله تعالى الكذب بقوله: ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، ذكر الله تعالى هنا ما أعده لأوليائه المتقين من الكرامة والفضل.

﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

(ألا) تنبيه لأهمية ما يأتي ذكره، و (أولياء) جمع ولي وهو النصير المحب، وأكد الكلام بإن لتأكيد أن من كانت هذه صفاتهم فهم أولياء الله تعالى حقًّا.

لا يخوف عليهم فيما يستقبلهم؛ لأن حقيقة الخوف: توقع محذور يصيب في المستقبل، ولا هم يحزنون على ما تركوه في الدنيا؛ فإن الحزن لا يكون إلا على ما فات.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾.

هذه هي صفة أولياء الله تعالى، حققوا أركان الإيمان، وكانوا مع ذلك يخافون عذاب الله تعالى؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾.[1]

قال ابن عباس: يريد: الذين صدقوا النبي صلى الله عليه وسلم وخافوا مقامهم بين يدي الله تعالى.

﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾.

لهم البشرى في الحياة الدنيا من الملائكة عند قبض أرواحهم؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنزلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾. [فصلت:

١ - سورة المؤمنون: الآية/ ٦٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٣٠]، وفي الآخرة عندما تتلقاهم الملائكة؛ كما قال تعالى: ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هذا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾.[١]

﴿لا تَبْدِيلَ لِكَلِماتِ اللَّهِ﴾.

أي: لا تبديل لوعد الله تعالى الذي وعد به أولياءه.

﴿ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

أي: ذلك التبشير هو الفوز العظيم.

وقيل: ذلك الوعد هو الفوز العظيم.

١ - سورة الأنبياء: الآية/ ١٠٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦٥) أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّماواتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَما يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَاّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَاّ يَخْرُصُونَ﴾. سورة يونس: الآية/ ٦٥، ٦٦

يقول تعالى لنبيّه محمدٍ صلى الله عليه وسلم: لا يَحْزُنْك يا محمدُ ما يقولُ هؤلاء المشركين في ربِّهم تبارك وتعالى، وما يعتقدونه في صفاته تعالى، وما يشركون به من الأوثانِ والأصنامِ.

﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾.

أي: إن الغلبة والقهر لله جميعًا لا يملك أحد من الخلق منها شيئًا.

﴿هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

أي: هو السميع لأقوالهم، العليم بأفعالهم، وما تكن صدورهم.

﴿أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّماواتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾.

(ألا) تنبيه للمخاطبين بالقرآن لأهمية ما يأتي بيانه، وهو الإخبار عن الله تعالى أن من كمال غناه تعالى، ومن دلائل تفرده بالعزة أن الملك ملكه، ومن في السماوات والأرض جميعًا خلقه، وكلهم تحت سلطانه وقهره.

﴿وَما يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكاءَ﴾.

(ما) هنا نافية؛ أي: ولا يتبع هؤلاء الذين يكذبونك يا محمد صلى الله عليه وسلم شركاءَ، وإنما يدعون أوثانًا لا تنفعُ ولا تضرُّ، ولا تسمعُ ولا تبصرُ، ظنًّا أنها تجلب لهم نفعًا، أو تدفع عنهم ضرًّا.

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَاّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَاّ يَخْرُصُونَ﴾.

(إن) نافية؛ أي: ما يتبعون في الحقيقة إلا الظن، ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَاّ يَخْرُصُونَ﴾، وما هم إلا يكذبون على الله تعالى، بنسبة الصاحبة والولد والشركاء لله تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٦٧) قالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطانٍ بِهذا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٦٨) قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ﴾.

سورة يونس: الآية/ ٦٧، ٦٩

أي: ومن دلائل وحدانيته تعالى، وقدرته الباهرة أنه هو الذي جعل الليل ليسكن فيه العباد، وجعل النهار مبصرًا؛ أي: مُضيئاً لتهتدوا به في معايشكم ولتبتغوا من فضل الله تعالى، وتقديم الضمير للتخصيص؛ أي: هو وحده الذي يفعل ذلك.

﴿إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾

أي: إن في جعل الليل والنهار بتلك الصفة لآيات عظيمة على وحدانية الله تعالى وقدرته المطلقة، لقوم يسمعون كلام الله تبارك وتعالى سماع اعتبار.

﴿قالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾.

تنزيه لله تعالى عما يقوله المشركون وتعجيب من كلمتهم الشنيعة، وفي الآية ردٌّ على من نسب لله تعالى الولد ومنهم المشركون واليهود والنصارى، قال المشركون: الملائكةُ بناتُ الله، وقالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله ﴿سُبْحانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾، أي: تقدس الله تعالى عن اتخاذ الولد، ﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾؛ أي: عن كل ما سواه، وكل شيء فقير إليه.

﴿لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ﴾

أي: له ما في السماوات وما في الأرض خلقًا وملكًا؛ كما قال الله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمنِ عَبْداً﴾.[1]

﴿إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطانٍ بِهذا﴾

إنْ هنا نافية؛ أي: ما عندكم مِنْ حُجَّةٍ بهذا الذي تقولونه.

---

١ - سورة مريم: الآية/ ٩٣

﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾

استفهام المراد منه الإنكار؛ أن أتنسبون لله تعالى الولد لله تعالى ولا شبيه له تعالى، ولا علم لكم بذلك.

﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ﴾

أي: قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم: إن الذين يفترون على الله الكذب بنسبة الولد لله تعالى لا ينجُون من مكروهٍ ولا يفوزون بمطلوب، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَتاعٌ فِي الدُّنْيا ثُمَّ إِلَيْنا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذابَ الشَّدِيدَ بِما كانُوا يَكْفُرُونَ﴾. سورة يونس: الآية/ ٧٠

في الكلام حذف إيجاز تقديره: هو متاع.

وقال الزمخشري: منفعتهم في الدنيا متاع قليل.

والمتاع: ما ينتفع به منفعة قليلة في مدة وجيزة ثم يتركه صاحبه؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتاعٌ إِلى حِينٍ﴾.[1]

﴿مَتاعٌ فِي الدُّنْيا﴾.

أي: متاع قليل سرعان ما ينقضي، يتمتعون به وبلاغ ينتفعون به إلى انقضاء آجالهم.

﴿ثُمَّ إِلَيْنا مَرْجِعُهُمْ﴾.

أي: ثم إلينا مآبهم ورجوعهم، وتقديم الضمير للاختصاص.

﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذابَ الشَّدِيدَ بِما كانُوا يَكْفُرُونَ﴾.

أي: ثم نذيق هؤلاء المكذبين العذاب الأليم الموجع بسبب كفرهم بالله تعالى وتكذيبهم لرسل الله عليهم السلام، وهذه الآية كقول الله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾.[2]

١ - سورة البقرة: الآية/ ٣٦

٢ - سورة آل عمران: الآية/ ١٩٦، ١٩٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنْظِرُونِ﴾. سورة يونس: الآية/ ٧١

مناسبة الآية لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى في الآيات السابقة دلائل وحدانية، وبراهين قدرته الباهرة، ذكر تعالى هنا حال بالأمم السابقة الذين ظلوا في غيهم سادرين، أقاموا على كفرهم معاندين، وقد تقدم من الله تعالى في ذلك الإشارة إليهم على سبيل الإجمال في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ﴾ [يونس: ١٣]، على سبيل التهديد والوعيد لكفار قريش ليثوبوا إلى رشدهم، ويرتدعوا عن غيهم.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾.

يقولُ تعالى ذكرُه لرسوله محمدٍ صلى الله عليه وسلم: واقرأ يا محمد على قومك خبر نوح وقصته مع قومه، وكان قد بلغهم ما حل بقوم نوح عليه السلام من الغرق.

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾.

أي: حين قال لقومه إن كان عظم عليكم طول مكثي فيكم ووعظي لكم وتحذيري إياكم بحجج الله تعالى وبيناته، وفي الكلام حذف مقدر تقديره: فعزمتم على قتلي فأنا أعتمد على الله تعالى وأفوض أمري إليه وحده، وتقديم الجار والمجرور في قوله: ﴿فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾، لقصر التوكل على الله وحده.

﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾.

أي: فأحكموا أمركم واعزموا عليه وادعوا شركاءكم استعينوا بهم، وقرأ يعقوبُ: (وَشُرَكَاؤُكُمْ) بالرفع؛ أي: فاعزموا أمركم أنتم وشركاؤكم، وقول نوح عليه السلام ذلك لقوم دلالة على صدق اعتماد نوح على الله تعالى وعظيم ثقته تعالى في نصره.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾.

أي: ولا تجعلوا أمركم عليكم ملتبسًا، في خفية والغمة السترة، يقال: غمه إذا ستره.

﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنْظِرُونِ﴾.

أي: ثم افرُغوا من أمركم وامضوا ما في أنفسكم واقطعوا ما بيني وبينكم مما كنتم تتوعدوني به ولا تمهلوني.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَاّ عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٧٢) فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْناهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْناهُمْ خَلائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾. سورة يونس: الآية/ ٧٢، ٧٣

أي: فإن أعرضتم أيُّها الناس عنى بعدَ دُعائِي إياكم إلى اللهِ، وتبليغي رسالةَ ربِّي إليكم، فما سألتكم مِن أجرٍ على تبليغ الرسالة يوجب توليكم لثقله عليكم فتحتجُّوا به عليَّ لإعراضكم عن الإيمان.

﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَاّ عَلَى اللَّهِ﴾.

(إنْ) هنا نافية؛ أي: ما أجري وثوابي إلا على الله تعالى، لا أرجو المثوبة من غيره.

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

أي: وَأُمرتُ أَن أكونَ من المنقادِينَ لأمر اللهِ تعالى.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْناهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾.

أي: فكذَّبوا نوحًا عليه السلام فيما أخبَرهم به من أمر الرسالة، وفيما يأتيه من الوحي من اللهِ تعالى، وفي الأمر بتوحيد الله تعالى، فنجاه الله تعالى ومن معه من المؤمنين ممن حَمَل معه في تلك السفينة العظيمة التي صنعها بأمر الله تعالى.

﴿وَجَعَلْناهُمْ خَلائِفَ﴾.

أي: وجَعَلنا الذين نَجَّيناهم مع نوحٍ عليه السلام في السفينة خلائفَ في الأرضِ بعد إهلاك قومِه الذين كذَّبوه.

﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا﴾.

أي: وأغرقنا الذين كذبوا بآيات الله البينات، وحججه الواضحات التي أيدنا بها نوحًا عليه السلام، الدالة على صدقه عليه السلام، وعلى وحدانية الله تعالى، ووصفهم بـ ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا﴾، لبيان أن علة إهلاكهم هي التكذيب بآيات الله تعالى.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾.

أي: فانظرْ يا محمدُ صلى الله عليه وسلم كيف كان عاقبةُ قوم نوحٍ حين كذبوا نوحًا عليه السلام، وفي الكلام تعريض بكفار قريش، وتهديد لهم أن يصيبهم ما أصاب قوم نوحٍ إذا ظلوا على كفروا، وكذبوا بآيات الله تعالى.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلاً إِلى قَوْمِهِمْ فَجاؤُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِما كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذلِكَ نَطْبَعُ عَلى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ (٧٤) ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسى وَهارُونَ إِلى فِرْعَوْنَ وَمَلائِهِ بِآياتِنا فَاسْتَكْبَرُوا وَكانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ (٧٥) فَلَمَّا جاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا إِنَّ هَذا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

سورة يونس: الآية/ ٧٤، ٧٦

يقولُ الله تعالى: ثم بعثنا من بعدِ نوحٍ عليه السلام رسلًا إلى قومِهم، فأتَوهم بالحُججِ الدامغات والأدلَّةِ القاطعات والمعجزات الباهرات على وحدانية الله تعالى وصدقِ هؤلاء الرسل.

﴿فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِما كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾.

أي: فما كان هؤلاء المكذبون لتؤمنوا بما جاءتهم به رسلهم، بسبب تكذيبهم إياهم أول ما أرسلوا إليهم، وما زادتهم الآيات إلا كفرًا وعنادا؛ لشدة شكيمتهم في الكفر، وتأصله في قلوبهم؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.[1]

﴿كَذلِكَ نَطْبَعُ عَلى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾.

أي: كما طبع الله على قلوب هؤلاء المكذبين الغابرين، يطبع الله على قلوب المكذبين المعاندين ممن أتى بعدهم وسلك سبيلهم في العناد والكفر.

﴿ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسى وَهارُونَ إِلى فِرْعَوْنَ وَمَلائِهِ بِآياتِنا﴾.

أي: ثم بعثنا من بعد هؤلاء الرسل موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون وملائه بآياتنا الدالة على وحدانية الله وصدقهما وهي الآيات التسع التي قال الله تعالى عنها: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسى تِسْعَ آياتٍ بَيِّناتٍ﴾.[2]

١ - سورة الْأَنْعَامِ: الآية/ ١١٠

٢ - سورة الإسراء: الآية/ ١٠١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ﴾.

أي: فاستكبروا عن عبادة الله تعالى والانقياد للحق واتباعهما، وكانوا طغاةً عُتاةً مَردَة، لا يبالون بمخالفة أمر الله، ولا يتورعون عن الكفر.

﴿فَلَمَّا جاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

أي: فلما جاء فرعون وقومَه الحقُّ الذي لا يخالطه باطل المؤيد بالمعجزات، والدلائل القاطعات من عند الله تعالى على صدق موسى وهارون، وأكدوا كلامهم فقالوا: إن هذا لسحر مبين، تنفيرًا للناس عنه، وصدًّا لهم عن الإيمان به، ومبالغة في الصد عن دعوة موسى وهارون أقسموا على كلامهم، فقالو: ﴿لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾، واللام هي الموطئة للقسم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قالَ مُوسى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ (٧٧) قالُوا أَجِئْتَنا لِتَلْفِتَنا عَمَّا وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِياءُ فِي الْأَرْضِ وَما نَحْنُ لَكُما بِمُؤْمِنِينَ﴾. سورة يونس: الآية/ ٧٧، ٧٨

أي: قال موسى ردًّا عليهم لما قالوا: ﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾، قال: ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا﴾، ولما كان بين لفظ موسى عليه السلام: ﴿أَسِحْرٌ﴾، وقول فرعون وقومه: ﴿سِحْرٌ﴾، تغايرًا تعين أن يكون في الكلام حذف اختصار تقديره: أتقولون للحق لما جاءكم سحرٌ؟ أسحرٌ هذا؟ فحذف قولهم: (سحرٌ) اكتفاءً بدلالة الكلام عليه، وهو استفهام الغرض منه التقريع والتوبيخ.

﴿وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾.

أي: ولا يفوز الساحرون لا في الدُّنيا ولا في الآخرة.

﴿قالُوا أَجِئْتَنا لِتَلْفِتَنا عَمَّا وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا﴾.

أي: قالوا أجئتنا لتصرفنا عما وجدنا عليه آباءنا، يقال: لفته فالتفت؛ أي: صرفه فانصرف.

﴿وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِياءُ فِي الْأَرْضِ﴾.

أي: وتكون لك أنت وهارون العظمة والملك، ولفظ: (الأرض) هنا عام يراد به الخصوص، فإن المراد بها أرض مصر.

﴿وَما نَحْنُ لَكُما بِمُؤْمِنِينَ﴾.

أي: وما نحن لكما بمؤمنين مهما جئتما بالآيات؛ كما قال تعالى عنهم: ﴿وَقالُوا مَهْما تَأْتِنا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنا بِها فَما نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٢]، قالوا ذلك قطعًا لرجاء موسى وهارون عليهما السلام من إيمانهم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ ساحِرٍ عَلِيمٍ (٧٩) فَلَمَّا جاءَ السَّحَرَةُ قالَ لَهُمْ مُوسى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ (٨٠) فَلَمَّا أَلْقَوْا قالَ مُوسى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (٨١) وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِماتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾. سورة يونس: الآية/ ٧٩- ٨٢

قال فرعونُ لقومِه: ائتوني بكلِّ ساحرٍ حاذقٍ في سحره، عليمٍ بضروبِ السِّحْرِ وفنونه.

﴿فَلَمَّا جاءَ السَّحَرَةُ قالَ لَهُمْ مُوسى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾.

في الكلام حذف اختصار، وقد طوى الله تعالى في هذه السورة الأحداث طيًّا، وقد ذكر الله تعالى أن فرعون أرسل في المدائن حاشرين، وأن السحرة قد جمعوا من جميع مدائن مصر، وأنهم اجتمعوا بفرعون فوعدهم الأجر الجزيل، ومناهم بالقرب منه إن كانوا هم الغالبين؛ كما قال الله تعالى: ﴿قالُوا أَرْجِهْ وَأَخاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدائِنِ حاشِرِينَ (١١١) يَأْتُوكَ بِكُلِّ ساحِرٍ عَلِيمٍ (١١٢) وَجاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قالُوا إِنَّ لَنا لَأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغالِبِينَ (١١٣) قالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾.[1]

واجتمع السحر كذلك بموسى عليه السلام ووعظهم وحذرهم سخط الله تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتى (٦٠) قالَ لَهُمْ مُوسى وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذابٍ وَقَدْ خابَ مَنِ افْتَرى (٦١) فَتَنازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوى﴾. سورة طه: الآية/ ٦٠- ٦٢

يقول الله تعالى: فلما جاء السحرة الذي حشروا من المدائن لمعرضة موسى عليه السلام قال لهم موسى عليه السلام بعد أن وعظهم، وحذرهم سخط الله تعالى: ﴿أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾؛ أي: ألقوا ما تريدون إلقاءه من الحبال والعصي، التي تسحرون بها أعين الناس.

﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قالَ مُوسى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ﴾.

وهنا أيضًا طوى الله تعالى الأحداث، ومن ذلك ما حكاه الله تعالى في سورة الشعراء بقوله: ﴿فَأَلْقَوْا حِبالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغالِبُونَ﴾ [الشعراء: ٤٤]، وأنهم سحروا أعين الناس وأخافوهم وجاءوا بسحر عظيم؛ كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجاؤُ

---

١ - سورة الأعراف: الآيات/ ١١١- ١١٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦]، حتى خاف منه موسى عليه السلام؛ كما قال تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسى (٦٧) قُلْنا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلى﴾.[١]

فقال لهم موسى عليه السلام: ما جئتم به السحر، على الإخبار في قراءة الجمهور، وفي قراءة أبي عمرو، وأبي جعفر: ﴿مَا جِئْتُمْ بِهِ آلسِّحْرُ؟﴾ على الاستفهام والمراد به الإنكار؛ أيْ: أيّ شيء جئتم به أهو السحر؟

﴿إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾.

أي: إن الله سيظهر بطلانه للناس وأنه حيلٌ خادعة، لا آياتٍ خارقة، ومن تعاطاه مفسدٌ لأنه يعارض به آيات الله تعالى، والله تعالى لا يصلح عمل المفسدين.

﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِماتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾.

أي: ويثبت الله تعالى الحق الذي فيه صلاح الخلق، بكلماته التكوينية وكلماته التشريعية، ولو كره المجرمون ذلك.

١ - سورة طه: الآية/ ٦٧، ٦٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَما آمَنَ لِمُوسى إِلَاّ ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلائِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ (٨٣) وَقالَ مُوسى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ (٨٤) فَقالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنا رَبَّنا لا تَجْعَلْنا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٨٥) وَنَجِّنا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكافِرِينَ﴾. سورة يونس: الآية/ ٨٣- ٨٦

يقولُ الله تعالى: فما آمن لموسى ﴿إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ﴾، إلا قلة قليلة من الشباب من قوم فرعون مع ما رأوه مِن الآيات البينات والحُجَجِ القاطعات، على وجل وخوف من فرعون ومن أشراف القبط، أن يردوهم إلى ما كانوا عليه من الكفر.

وقال مجاهد: الذرية من بني إسرائيل لا من قوم فرعون، لعود الضمير على أقرب المذكورين.

والراجح أن الذرية هم الأحداث والشباب من قوم فرعون؛ لأن بني إسرائيل كلهم آمنوا بموسى، عليه السلام، واستبشروا به حين بعث لعلمهم أن الله تعالى سينقذهم به من بطش فرعون وقومه.

﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعالٍ فِي الْأَرْضِ﴾.

أي: وإن فرعون لمتكبر متغلب على أرض مصر، وهي جملة معترضة لتأكيد مضمون ما سبق.

﴿وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾.

أي: وإنه لمن الطغاة المجاوزين للحد في الكفر حين ادعى الربوبية، والقتل والصلب والتعذيب لكل من خالفه.

﴿وَقالَ مُوسى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾.

أي: وقال موسى تطمينًا لقلوب من آمن به من قوم فرعون وإزالةً للخوف عنهم، وسماهم قومه من لإيمانهم به، وقيل: الخطاب لبني إسرائيل، وقيل: الخطاب لكل من آمن به ولو من القبط.

قال موسى عليه السلام: يا قوم إن كنتم أقررتم بوحدانية الله تعالى ﴿فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا﴾؛ أي: ثقوا به ناصرًا، وسلموا لأمره تعالى وحده، فإنه لن يخذل وليه ولن يضيع من توكل عليه، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾؛ أي: إن كنتم مذعنين لله بالطاعة، فعليه توكلوا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَقالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنا﴾.

أي: فقالوا اعتمدنا على الله تعالى وبه وثقنا، وإليه فوضنا أمرنا.

﴿رَبَّنا لا تَجْعَلْنا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

أي: ربنا لا تسلطهم علينا فيفتنونا، ولا تمكنهم من رقابنا، فيزدادوا طغيانا إلى طغيانهم.

﴿وَنَجِّنا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكافِرِينَ﴾.

أي: وخلصنا يا ربنا برحمتك بنا وإحسانك إلينا، من أيدي القوم الكافرين قوم فرعون؛ فإنهم لا يراعون في مؤمن إلا ولا ذمة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَوْحَيْنا إِلى مُوسى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءا لِقَوْمِكُما بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾. سورة يونس: الآية/ ٨٧

يخبر الله تعالى أنه أوحى إلى موسى وأخيه هارون عليهما السلام: أن اتخذا لقومكما بمصر بيوتًا، يقال: تبوَّأ فلانٌ لنفسِه بيتًا إذا اتَّخَذه مباءة، وتَبَوَّأَ مضجعًا إذا اتخذَهَ مباءة؛ كقولك: توطن المكان، إذا اتخذه وطنًا.

قيل: سبب أمر الله تعالى لهما بذلك أنه لما أُرسل موسى، أَمر فرعونُ بمساجد بني إسرائيل فخُرِّبت كلُّها، ومُنعوا من الصلاة، وكانوا لا يصلُّون إلا في البيعِ فأُمروا أن يتخذوا مساجد في بيوتهم ويصلُّون فيها خوفاً من فرعون.

﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾.

قال ابن عباس: ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾. أمروا أن يتخذوها مساجد.

وقال إبراهيم النخعي: ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾. كانوا خائفين، فأمروا أن يصلوا في بيوتهم.

وقال سعيد بن جبير: ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾. أي: يقابل بعضها بعضًا.

وقال مجاهد: لما خاف بنو إسرائيل من فرعون أن يقتلوا في الكنائس الجامعة، أمروا أن يجعلوا بيوتهم مساجد مستقبلة الكعبة، يصلون فيها سرًّا.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾.

أي: وأدُّوا الصلاةَ المفروضةَ بحدودِها في أوقاتِها، في بيوتكم حتى تأمنوا من فرعون ملائه.

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

أي: وبشِّر المؤمنين المتقين لله، المقيمي الصلاةِ، بالثوابِ الجزيلِ يوم القيامة.

قال صاحب الكشاف: فإن قلت: كيف نوّع الخطاب، فثنى أوّلا، ثم جمع، ثم وحَّد آخرًا؟

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قلت: خوطب موسى وهرون عليهما السلام أن يتبوآ لقومهما بيوتًا، ويختاراها للعبادة، وذلك مما يفوّض إلى الأنبياء. ثم سيق الخطاب عامًّا لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها؛ لأنّ ذلك واجب على الجمهور، ثم خص موسى عليه السلام بالبشارة التي هي الغرض، تعظيما لها وللمبشر بها.[1]

١ - تفسير الكشاف (٢/ ٣٦٤)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقالَ مُوسى رَبَّنا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوالاً فِي الْحَياةِ الدُّنْيا رَبَّنا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلى أَمْوالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذابَ الْأَلِيمَ (٨٨) قالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما فَاسْتَقِيما وَلا تَتَّبِعانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾. سورة يونس: الآية/ ٨٧- ٨٩

لما ضاق موسى عليه لسلام ذرعًا بفرعون وملائه وانقطع رجاؤه من إيمانهم لطغيانهم، وعتوهم وإيثارهم الكفر على الإيمان والضلالة على الهدى، وقد تتابعت عليهم الآيات البينات والحجج القاطعات على وحدانية الله تعالى وصدق موسى وهارون، دعا عليهم موسى عليه السلام بذلك الدعاء.

دعا موسى عليه السلام على فرعون وملائه فبدأ بذكر سبب ضلالهم وكفرهم وتجبرهم فقال: ﴿رَبَّنا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوالاً فِي الْحَياةِ الدُّنْيا﴾؛ لأن الغنى يكون سبب البغي والطغيان غالبًا؛ كما قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى (٦) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾.[1]

فافتتح دعاءه بنداء الله تعالى بوصف الربوبية إظهارًا لعبوديته وافتقاره لله تعالى، ثم عدد نعم الله تعالى على فرعون ملائه التي قابلوها بالجحود والكفران، وأنهم استعملوها في صد العباد عن سبيل الله تعالى، فكانت سببًا في تجبرهم وطغيانهم.

وقول موسى عليه السلام: ﴿رَبَّنا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوالاً فِي الْحَياةِ الدُّنْيا﴾ يعني: يا ربنا إنك أعطيت فرعون وملأه من أسباب رغد العيش في الدنيا زينة وهي ما يُتَزَيَّن به من اللباس والمراكبِ والحليّ والأثاث والرياش والماعون، وأموالًا وهي: ما وراء ذلك من الذهب والفضة والأنعام والزروع والثمار، وذكر لفظ: (زينة) ولفظ: (أموالًا) لتعظيم قدر هذا العطاء.

﴿لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾.

أي: أعطيتهم تلك الزينة وتلك الأموال ليشكروها، ويتبعوا سبيلك، فكان عاقبة أمرهم أنهم كفروا وضلوا عن سبيلك، وأضلوا العباد عن سبيل ربهم، وعلى هذا فاللام في: ﴿لِيُضِلُّوا﴾ هي لام العاقبة، وقيل هي لام التعليل؛ لأن إيتاءَ النعم على الكفر استدراجٌ وتثبيت على الضلال.

---

١ - سورة العلق: الآية/ ٦، ٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلى أَمْوالِهِمْ﴾.

الطمس: المحق والإزالة؛ أي: امحقها وأذهب آثاراها لأنهم يستعينون بها على معصيتك.

﴿وَاشْدُدْ عَلى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذابَ الْأَلِيمَ﴾.

أي: واطبع على قلوبهم واجعلها قاسية، فلا يؤمنوا مهما رأوا من الآيات البينات والدلائل القاطعات حتى يعاينوا العذاب المؤلم، وهو ما حدث لفرعون حين قال: ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَاّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرائِيلَ﴾ [يونس: ٩٠]، وقال السدي: أمتهم على الكفر.

﴿قالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما فَاسْتَقِيما وَلا تَتَّبِعانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾.

قال الله تعالى: ﴿قالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما﴾، قيل: كان يدعو موسى عليه السلام، ويؤمّنُ هارون عليه السلام، فثبت أن التأمينَ دعاءٌ.

﴿فَاسْتَقِيما وَلا تَتَّبِعانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾.

أي: فاثبتا على ما أنتما عليه من الاستقامة على أمر الله تعالى والدعوة إليه، ولا تتبعان طريق الجهال الذين لا يعلمون دين الله تعالى، ولا أحكام شريعته.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَجاوَزْنا بِبَنِي إِسْرائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتَّى إِذا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَاّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾. سورة يونس: الآية/ ٩٠، ٩١

يخبر الله تعالى في هذه الآيات الثلاث عن عاقبة فرعون وجنوده من الهلاك في البحر غرقًا، بعد العلو في الأرض والطغيان، وعن تمكين موسى وهارون عليهم السلام وبني إسرائيل على ضعفهم بأنفسهم، ليتحقق وعد الله تعالى بالنصر والتمكين لمن آمن به وامتثل أمره، وبالهلاك والبوار لمن كفر به، وعصاه.

﴿وَجاوَزْنا بِبَنِي إِسْرائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً﴾.

المجاوزة: البعد عن المكان عقب المرور فيه، يقال: جاوز المكان إذا قطعه حتى خلفه وراءه.

يقول الله تعالى: وقطَعنا ببنى إسرائيلَ البحرَ حتى جاوَزوه ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ﴾، أي: فتبعهم فرعون وجنوده يريد إهلاكهم؛ يقال: أتبع فلان فلانًا إذا تبعه يريد شرًا؛ ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ فَكانَ مِنَ الْغاوِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٥]، ﴿بَغْياً وَعَدْواً﴾، البغي: طلب الاستعلاء بغير حق، والعدْو: الظلم والاعتداء؛ أي: واعتداءً عليهم.

﴿حَتَّى إِذا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَاّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرائِيلَ﴾.

أي: حتى إذا أحاطَ به الغرقُ، والإدراك الإحاطة ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١]، فلما أشفَى على الغرقِ وأيقَن بالهلاك قال: ﴿قالَ آمَنْتُ﴾؛ أي: أقرَرتُ مصدِّقًا ﴿أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَاّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرائِيلَ﴾.

﴿وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

أي: وأنا من المستسلمين لأمر الله المنقادين له.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾.

أي: قال له جبريل عليه السلام: ﴿آلْآنَ﴾، استفهام بمعنى التوبيخ؛ أي: آلان آمنت عند الغرق وقد عصيت أمر الله قبل الغرق وكنت من المفسدين في الأرض حين جعلت أهل مصر شيعًا ودعوت الناس إلى عبادتك من دون الله تعالى.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَمَّا أَغْرَقَ اللهُ فِرْعَوْنَ» قَالَ: ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾ فَقَالَ جِبْرِيلُ: يَا مُحَمَّدُ، فَلَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا آخُذُ مِنْ حَالِ الْبَحْرِ فَأَدُسُّهُ فِي فِيهِ؛ مَخَافَةَ أَنْ تُدْرِكَهُ الرَّحْمَةُ».[1]

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ٢٢٠٣، والترمذي- أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ يُونُسَ، حديث رقم: ٣١٠٧، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آياتِنا لَغافِلُونَ﴾. سورة يونس: الآية/ ٩٢

يقولُ تعالى لفرعونَ: فاليوم نجعَلُك على نَجوةٍ مِن الأَرضِ ببدنِك، والنَّجوةُ، الموضعُ المرتفعُ على ما حولَه مِن الأرضِ، أي: نلقيك على ارتفاع من الأرض؛ لئلا يرتاب مرتاب في هلاكك.

قال ابن عباس وغيره من السلف: إن بعض بني إسرائيل شكوا في موت فرعون، فأمر الله تعالى البحر أن يلقيه بجسده بلا روح، وعليه درعه المعروفة به على نجوة من الأرض وهو المكان المرتفع، ليتحققوا موته وهلاكه.

وقرأ يعقوب: ﴿نُنْجِيكَ﴾ مخففًا مضارع أنجى، أي: نخلصك مما وقع فيه قومك من قعر البحر فنخرجك ببدنك لا بروحك، ونخلصك من دواب البحر فلا تأكلك.

﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾.

أي: لتكون لمن بقي من بعدك علامة ظاهرة على أنك عبد لله تعالى تجري عليك أحكام الله تعالى، وأنك تحت قهره وسلطانه، لا تملك لنفسك نفعًا ولا ضرًا، وقد كان بنوا إسرائيل يخشون بطشه، وكان المصريون يعتقدون أنه إله، فظهر لهؤلاء وأولئك ضعفه وعجزه.

﴿وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آياتِنا لَغافِلُونَ﴾.

أي: فعلنا ذلك بفرعون مع تكبره وطغيانه، فكيف يتجرأ على أمر الله تعالى مَنْ هو دونه في البطش والطغيان؟

وإن كثيرا من الناس في غفلة شديدة عن آيات الله تعالى، ودلائل وحدانيته وقدرته، فلا يتعظون بها، ولا يعتبرون بما فيها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنا بَنِي إِسْرائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾. سورة يونس: الآية/ ٩٣

المبوأ المنزل ومكان الإقامة الأمين، وأضيف إلى الصدق لدلالته على صدق وعد الله تعالى لهم.

يقول الله تعالى مخبرًا عما أنعم به على بني إسرائيل من النعم الدنيوية بعد هلاك فرعون وجنوده، وأنه تعالى أنزلهم منزل صدق، قيل: مصر، وقيل: الأردن وفلسطين. وقال الضحاك: هي مصر والشام، والراجح أنها مصر والشام مما يلي بيت المقدس؛ لقول الله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْناهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٧) وَكُنُوزٍ وَمَقامٍ كَرِيمٍ (٥٨) كَذلِكَ وَأَوْرَثْناها بَنِي إِسْرائِيلَ﴾.[1]

﴿وَرَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ﴾.

أي: ورقناهم من الأقوات والأطعمة المستطابة.

﴿فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾.

أي: فما اختلفوا في أمر دينهم إلا بَعْدِ مَا جَاءهُمُ العلم بقراءتهم التوراة وعلمِهم بأحكامها.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

فيميز بين المحق من المبطل، فيثيب الطائع ويعاقب العاصي.

١ - سورة الشعراء: الآية/ ٥٧- ٥٩

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُنَ الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الممْتَرِينَ﴾. سورة يونس: الآية/ ٩٤

يقولُ الله تعالى لنبيِّه محمدٍ صلى الله عليه وسلم: فإن كنتَ يا محمدُ في شَكٍّ مِن حقيقةِ ما ذكرناه لك وأخبرناك به فيما أَنزَلناه عليك، ﴿فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُنَ الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾، مِن أهلِ الصدقِ ممن آمن بك كعبد الله بن سلام، فإن الكفار منهم يعلمون الحق ويجحدونه.

قال ابنُ عباسٍ في قولِه: ﴿فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُنَ الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾، قال: التوراةَ والإنجيلِ، الذين أدْرَكوا محمدًا صلى الله عليه وسلم من أهلِ الكتابِ فأمَنوا به. يقولُ: سَلْهم إن كنتَ في شكٍّ بأنك مكتوبٌ عندَهم.

ولم يشك النبي صلى الله عليه وسلم لحظة فيما أخبره الله تعالى به من ذكر اسمه وصفته في الكتب السابقة؛ فعن سعيدِ بنِ جبيرٍ في قولِه: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾. فقال: لم يشُكَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم ولم يسألْ.[1]

قال قتادة بن دعامة: بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا أشك ولا أسأل".[2]

﴿لَقَدْ جاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الممْتَرِينَ﴾.

هذا الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من الشكاك، والقرآن نزل بلغة العرب، وهم قد يخاطبون الرجل بالشي يريدون غيره، مثل هذا قوله: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ الآية [الأحزاب: ١]، الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره.

١ - رواه الطبري «تفسير الطبري» (١٢/ ٢٨٧)، وسعيد بن منصور في سننه- تَفْسِيرُ سُورَةِ يُونُسَ عليه السلام، حديث رقم: ١٠٧٦

٢ - رواه الطبري في تفسيره (١٢/ ٢٨٨)، وعبد الرزاق في تفسيره- حديث رقم: ١١٧٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٩٥) إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ (٩٦) وَلَوْ جاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذابَ الْأَلِيمَ﴾. سورة يونس: الآية/ ٩٥- ٩٧

يقولُ الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: ولا تكونن يا محمدُ من الذين كذَّبوا بحُجَج الله القاطعة وأدلتِه الباهرة على وحدانيته تعالى وقدرته، وصدق رسله عليهم السلام، فتكون من الخاسرين يوم القيامة، ويكون الخسران بالحرمان من الجنة ودخول النار؛ كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، ومن لم يزحزح عن النار ولم يدخل الجنة فهو م الخاسرين. وهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد منه غيره وهذا كقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، فإن الشرك محال منه صلى الله عليه وسلم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ﴾

يقول الله تعالى مخبرًا عن حال أولئك الذين قدر الله تعالى عليهم الشقاء وكتبه عليهم في اللوح المحفوظ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: وجبت عليهم ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾؛ أي: حكمه وقضاؤه لا سبيل لهم إلى الإيمان الذي ينفعهم يوم القيامة، أما الإيمان عند الغرغرة ومعاينة العذاب، أو عند طلوع الشمس من مغربها فلا ينفع صاحبه.

﴿وَلَوْ جاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذابَ الْأَلِيمَ﴾.

أي: ولو جاءتهم كل آية واضحة الدلالة سالمة عن المعارضة، ﴿حَتَّى يَرَوُا الْعَذابَ الْأَلِيمَ﴾، أي: عند نزول البأس، ومعاينة الموت؛ كإيمان فرعون وأمثالهم من رؤوس الكفر والضلال.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٩٩) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾. سورة يونس: الآية/ ٩٩، ١٠٠

يخبر الله تعالى عن كمال قدرته وبالغ حكمته ونفوذ مشيئته، فيقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً﴾؛ أي: لو شاء ربك يا محمد لجعل النا جميعًا مؤمنين، ولكن اقتضت حكمته البالغة أن يهدى من يشاء ويعصم فضلًا، ويضل من يشاء ويبتلي عدلًا؛ وإنما خاطب الله تعالى رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم بذلك؛ لأنه كان حريصًا على إيمان الناس جميعًا؛ كما قال الله تعالى له: ﴿فَلَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ عَلى آثارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً﴾.[1]

﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

سؤال معناه النفي؛ أي: لا تملك يا محمد أن تكره الناس على الإيمان؛ أي: ليس ذلك عليك ولا إليك، بل إلى الله تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [الْبَقَرَة: ٢٧٢]، والله تعالى ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ [فَاطِرٍ: ٨]؛ ولأن الإيمان يكون بالاعتقاد والإقرار، والعمل، ولا يمكن الإكراه على الاعتقاد.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

والأمر محض توفيق الله تعالى، ليس لأحد من الخلق هداية أحد ولا إضلاله، إنما مرد ذلك إلى الله تعالى.

﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

أي: ويجعل الله تعالى الضلال والخبال على الذين لا يعقلون عن الله تعالى مراده، ولا يرفعون بحجه وبراهينه رأسًا ولا يقيمون لها وزنًا.

---

١ - سورة الكهف: الآية/ ٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلِ انْظُرُوا ماذا فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما تُغْنِي الْآياتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ (١٠١) فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (١٠٢) ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذلِكَ حَقًّا عَلَيْنا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾. سورة يونس: الآية/ ١٠١- ١٠٣

يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يسألونك الآيات على توحيد الله، قل لهم: انظروا ماذا في السّماوات والأرض من الآيات التي تدل على وحدانية الله تعالى، وكمال قدرته، كالشمس، والقمر، والنجوم، والبحار، والأنهار، والجبال، والشجر، ألا يدل ذلك كله على وحدانية الخالق تعالى، وكمال قدرته، وعظيم حكمته؟

﴿وَما تُغْنِي الْآياتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ﴾.

«ما» يحتمل أن تكون نافية، أو تكون استفهامية، فعلى كون (ما) نافية يكون تقدير الكلام إن نظر هؤلاء المشركون في الآيات الكونية، واستمعوا لكلام الأنبياء والرسل الذين ينذرونهم عذاب الله تعالى فلا يغني عنهم ذلك شيئًا إذا كان الله تعالى قد قضى أنهم لا يؤمنون.

وعلى تقدير أنها استفهامية فالمعنى: ماذا تغني الآيات والنذر عن قوم لم يُرد الله تعالى هدايتهم فلم يؤمنوا؟

﴿فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.

أي: فهل ينتظر هؤلاء المشركون الذين كذبوك إلا مثل عذاب الأمم الغابرة، والعربُ تسمّي العذابَ: أيَّامًا، والنَّعيم: أيَّامًا؛ قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥]؛ أي: بنِعمِ اللَّهِ تعالى.

﴿قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾.

أي: فانتظروا ما توعدكم تعالى به من العذاب فإني منتظر معكم ما وعدني الله تعالى به من النصر والتمكين.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذلِكَ حَقًّا عَلَيْنا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

أي: ثم من سنتنا في الخلق أن ننجي رسلنا والذين آمنوا بهم في الحياة الدنيا مما يصيب المكذبين.

﴿كَذلِكَ حَقًّا عَلَيْنا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

أي: وكما أنجينا رسلنا والذين آمنوا كذلك ننجي المؤمنين، وهذا الحق أوجبه الله تعالى على نفسه الكريمة؛ كما قال تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾.[1]

١ - سورة الأنعام: الآية/ ١٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٤) وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٥) وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. سورة يونس: الآية/ ١٠٤- ١٠٦

مناسبة الآيات لما قبلها:

لما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يدعوا الناس إلى النظر في الآيات الكونية للاستدلال على وحدانية الله تعالى بقوله: ﴿قُلِ انْظُرُوا ماذا فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١]، أعلن هنا في هذه الآيات براءته مما عليه هؤلاء المشركون من الكفر والضلال.

وهذه الآيات التي ختم الله تعالى بها هذه السورة بمثابة الإعلان العام للناس جميعًا بالبراءة مما يعبدون من دون الله تعالى، والدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له.

أي: إن كنتم في ريب من ديني دين الإسلام الذي يدعو إلى وحدانية الله تعالى، مع ما قدمت لكم من الآيات والبراهين القاطعة على صحة هذا الدين الذي أؤمن به وأعتقده فلا تطمعوا أن أكون مثلكم في الضلال، وأعبد ما تعبدون من دون الله من الأوثان؛ لأني أمرت أن أكون من المؤمنين بالله وحده لا شريك له، المخلصين له.

﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

أي: وأمرت أن أستقيم لله على الدين مخلصًا، وألا ألتفت عنه لغيره من المعبودات الباطلة، وألا أشرك بالله تعالى شيئًا.

﴿وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

أي: وقيل لي: لا تدع من دون الله شيئًا فإنك مهما دعوت من دون الله فلا ينفعك ولا يضرك؛ فإن ذلك بيد الله تعالى وحده، وإن فعلت ذلك فإنك من جملة أولئك الظالمين حيث عبدوا ما لا ينفعهم ولا يضرهم، وتركوا عبادة الذي بيده مقاليد كل شيء، ولا ظلم أعظم من الشرك بالله تعالى.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾. سورة يونس: الآية/ ١٠٧

لما قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ﴾ [يونس: ١٠٧]؛ قال له هنا: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾؛ أي: وإن يُصِبْك الله بشدةٍ أو بلاءٍ، أو فاقة، أو آفة، فلا كاشف لذلك الضر إلا هو؛ لأنه لا يملك النفع والضر سواه تعالى، لا تلك الأوثان المصنوعة، ولا تلك الآلهة المزعومة.

﴿وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾.

أي: وإن يصبك برخاء ونعمة وعافية، فلا يقدر أحد أن يرده عنك، ؛ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ».[1]

﴿يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبادِهِ﴾.

أي: يصيب بالضر والخير من يشاء من عباده، لا راد لأمره ولا معقب لقضائه.

﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

غفور لمن تاب وأناب إليه، ورحيم بجميع خلقه تعالى.

١ - رواه الترمذي- أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ، حديث رقم: ٢٥١٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدى فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها وَما أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (١٠٨) وَاتَّبِعْ مَا يُوحى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحاكِمِينَ﴾. سورة يونس: الآية/ ١٠٨، ١٠٩

يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد، للناس جميعًا: ﴿قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، يعني: قد جاءكم كتاب الله الذي ينطق بالحق الذي لا يشوبه باطل؛ كما قال تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْناهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء:١٠٥]، فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم وفصل ما بينكم، فمن اعتصم به هدي إلى صراط مستقيم.

﴿فَمَنِ اهْتَدى فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾.

أي: فمن قَبِلَ الحقَّ، واهتدى به، واتبعه فإنما يعود نفع ذلك عليه؛ لأن فيه نجاته وسعادته في الدنيا والآخرة.

﴿وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها﴾.

أي: ومن لم يقبل الحق ولم ينتفع بنور القرآن ضل في الدنيا وعاد وبال ذلك عليه في الآخرة.

﴿وَما أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾.

أي: وما أنا عليكم بحفيظ موكول إلى أمر إيمانكم وهدايتكم، إنما أنا بشير ونذير.

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحاكِمِينَ﴾.

أي: واتبع ما أوحاه الله إليك في هذا القرآن علمًا وعملًا وبلاغًا وتعليمًا، وليس عليك هداهم.

﴿وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحاكِمِينَ﴾.

أي: واصبر على دعوتهم، وعلى احتمال أذاهم، وعلى إعراضهم عنك، حتى يحكم الله تعالى بالهداية لمن كتب الله تعالى هدايته، ويحكم لك بالنصرة على من أقام منهم على الكفر.

أي: والله تعالى خير من يفصل، وأعدل من يقضى بين العباد.

آخر تفسير سورة يونس والحمد لله رب العالمين.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفهرس

م	المحتويات	الصفحة
١	المقدمة.	٣
٢	﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾.	٤
٣	﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ﴾.	٥
٤	﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾.	٧
٥	﴿وَمِنَ الأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ﴾.	٩
٦	﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾.	١١
٧	﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾.	١٣
٨	﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾.	١٥
٩	﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾.	١٨
١٠	﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.	١٩
١١	﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِراراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.	٢٠
١٢	﴿لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾.	٢٣
١٣	﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.	٢٥
١٤	﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.	٢٧
١٥	﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.	٢٨
١٦	﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى﴾.	٣٣
١٧	﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾.	٣٥
١٨	﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾.	٣٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٩	﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾.	٣٨
٢٠	﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذا ضاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ﴾.	٤٠
٢١	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.	٤٦
٢٢	﴿مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ﴾.	٤٨
٢٣	﴿وَلا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً وَلا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلا كُتِبَ لَهُمْ﴾.	٥٠
٢٤	﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا﴾.	٥٢
٢٥	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾.	٥٤
٢٦	﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾.	٥٦
٢٧	﴿أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾.	٥٨
٢٨	﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾.	٦٠
٢٩	**تفسِيرُ سُورَةِ يُونُس.**	٦٣
٣٠	﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (١) أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾.	٦٣
٣١	﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾.	٦٧
٣٢	﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾.	٦٩
٣٣	﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنازِلَ﴾.	٧٠
٣٤	﴿إِنَّ فِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَما خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ لَآياتٍ﴾.	٧٢
٣٥	﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ﴾.	٧٤
٣٦	﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾.	٧٦
٣٧	﴿وَإِذا مَسَّ الْإِنْسانَ الضُّرُّ دَعانا لِجَنْبِهِ أَوْ قاعِداً أَوْ قائِماً﴾.	٧٨
٣٨	﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ﴾.	٨٠
٣٩	﴿وَإِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ قالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذا﴾.	٨٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٤٠	﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآياتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾.	٨٤
٤١	﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللَّهِ﴾.	٨٥
٤٢	﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾	٨٦
٤٣	﴿وَيَقُولُونَ لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا﴾.	٨٧
٤٤	﴿وَإِذا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آياتِنا﴾.	٨٨
٤٥	﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾.	٨٩
٤٦	﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾.	٩٢
٤٧	﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ﴾.	٩٤
٤٨	﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.	٩٦
٤٩	﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ﴾.	٩٨
٥٠	﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئاتِ جَزاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِها وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عاصِمٍ﴾.	١٠٠
٥١	﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكاؤُكُمْ فَزَيَّلْنا بَيْنَهُمْ﴾.	١٠٢
٥٢	﴿هُنالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ﴾.	١٠٤
٥٣	﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصارَ﴾.	١٠٥
٥٤	﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ مَنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾.	١٠٧
٥٥	﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾.	١٠٨
٥٦	﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾.	١١٠
٥٧	﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾.	١١١
٥٨	﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.	١١٣
٥٩	﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.	١١٥

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٦٠	﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾.	١١٦
٦١	﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾.	١١٨
٦٢	﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ﴾.	١٢٠
٦٣	﴿وَيَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾.	١٢٢
٦٤	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتاكُمْ عَذابُهُ بَياتاً أَوْ نَهاراً مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾.	١٢٣
٦٥	﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾.	١٢٥
٦٦	﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدامَةَ﴾.	١٢٦
٦٧	﴿أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ أَلا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾.	١٢٧
٦٨	﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفاءٌ لِما فِي الصُّدُورِ﴾.	١٢٨
٦٩	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَراماً وَحَلالاً قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾.	١٣٠
٧٠	﴿وَما تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَما تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ.....﴾.	١٣٢
٧١	﴿أَلا إِنَّ أَوْلِياءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.	١٣٤
٧٢	﴿وَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.	١٣٦
٧٣	﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهارَ مُبْصِراً.....﴾.	١٣٧
٧٤	﴿مَتاعٌ فِي الدُّنْيا ثُمَّ إِلَيْنا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذابَ الشَّدِيدَ بِما كانُوا يَكْفُرُونَ﴾.	١٣٩
٧٥	﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ إِنْ كانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقامِي وَتَذْكِيرِي بِآياتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾.	١٤٠
٧٦	﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.	١٤٢
٧٧	﴿ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلاً إِلى قَوْمِهِمْ فَجاؤُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِما كَذَّبُوا بِهِ﴾.	١٤٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٧٨	﴿قالَ مُوسى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾.	١٤٦
٧٩	﴿وَقالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ ساحِرٍ عَلِيمٍ﴾.	١٤٧
٨٠	﴿فَما آمَنَ لِمُوسى إِلاّ ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلائِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾.	١٤٩
٨١	﴿وَأَوْحَيْنا إِلى مُوسى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءا لِقَوْمِكُما بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾.	١٥١
٨٢	﴿وَقالَ مُوسى رَبَّنا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوالاً فِي الْحَياةِ الدُّنْيا﴾.	١٥٣
٨٣	﴿وَجاوَزْنا بِبَنِي إِسْرائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً﴾.	١٥٥
٨٤	﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾.	١٥٧
٨٥	﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنا بَنِي إِسْرائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ﴾.	١٥٨
٨٦	﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُنَ الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾.	١٥٩
٨٧	﴿وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخاسِرِينَ﴾.	١٦٠
٨٨	﴿وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾.	١٦١
٨٩	﴿قُلِ انْظُرُوا ماذا فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما تُغْنِي الْآياتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ﴾.	١٦٢
٩٠	﴿قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.	١٦٤
٩١	﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كاشِفَ لَهُ إِلاّ هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾.	١٦٥
٩٢	﴿قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدى فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾.	١٦٦
٩٣	الفهرس.	١٦٨